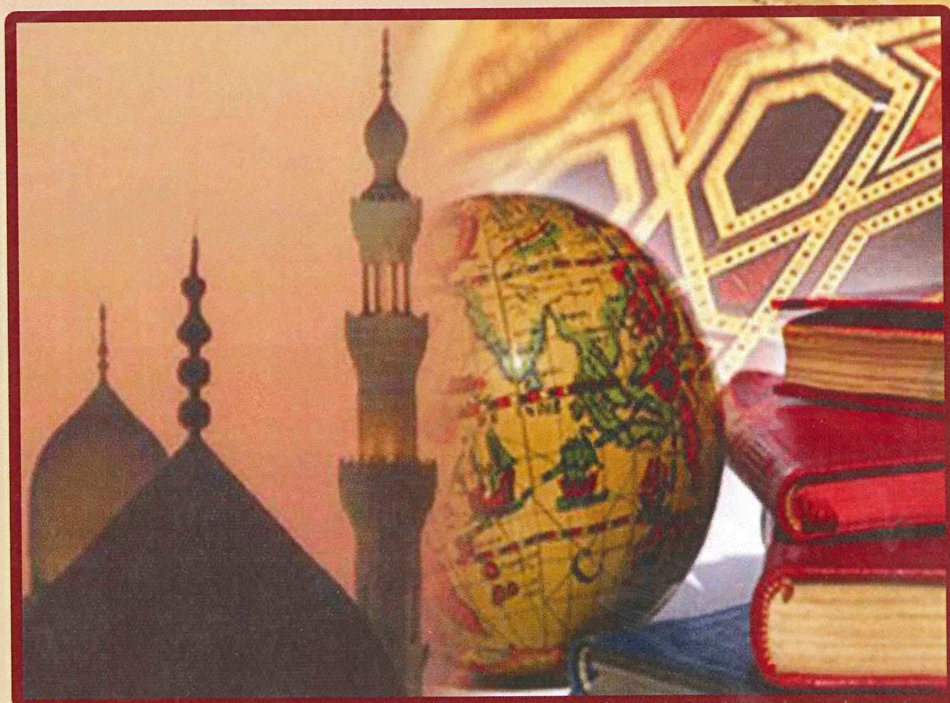
أوعية الفكر الإسلامي

محاولة للفهم

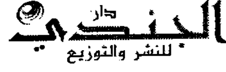
بكر أبوبكر



دار الجندي للنشر والتوزيع

أوعية الفكر الإسلاموي

محاولة للفهم



أوعية الفكر الإسلاموي

محاولة للفهم

بكر أبوبكر

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس

www.for-alquds.org

009722340035

jundi46@yahoo.com

darjundi46@gmail.com

أوعية الفكر الإسلاموي

محاولة للفهم

بكر أبوبكر

الطبعة الأولى

2016

الفهرس

مقدمة

عندما دخلت جحافل القوات "الفاتحة" الى مدينة الموصل في العام 2014 وبشكل مريح وسلس أذهل هذا الحدث المراقبين، وأعقب ذلك تمدد سريع في كافة أنحاء العراق وفي سوريا الى الدرجة التي تم فيها تهديد العاصمة بغداد.

وقف العالم مشدوها إذ لم يستطع أن يستوعب معضلة تمدد "الاسلام السياسي" في خضم الربيع العربي منذ العام 2011 ثم ارتبك في تفسير الظاهرة متعددة الوجوه وذات العمق الزماني والمكاني والعقلي، ورسم عدة احتمالات (سيناريوهات) ووضع عديد التحليلات محاولا فيها تفسير السر في تمكّن ثم تمدد الفكر الاسلاموي عامة، ومنه المتطرف.

لم يكتفي تنظيم (الدولة الاسلامية) بالتمدد في مساحات العقل الاسلامي بل جعل من الوهم والموروث والخيال عنوانا كرسه لأول مرة بأقامة مملكة الحلم على الأرض فتقاطر "المجاهدون" من أرجاء العالم يتراكضون علهم ينعمون بالحلم، او يتخذون منه سلما نحو النعيم الأبدي.

حول ظاهرة التمدد للتنظيمات الاسلاموية كان لنا عدة ندوات ومحاضرات ولقاءات رائية (تلفزية) متتابعة حاولنا من خلالها أن نفهم...نضع بعضها بين أيديكم.

بكر أبوبكر

الفصل الأول

(الاسلامويون) في المتغيرات الأقليمية.[1]

(1) ألقيت لأول مرة كندوة/ محاضرة في المؤتمر الأمني الأول، مؤتمر الأمن القومي والتحديات المعاصرة (25-26/ 1/ 2015) في أريحا-فلسطين.

الفصل الأول

(الاسلامويون) في المتغيرات الأقليمية.[1]

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾. ويقول تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾.

وفي قول الخير والقول الحسن قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ ويقول: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾.

ويقول: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾. ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾. وفي الصفح الجميل قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾. وقال: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾. وقال: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾.[2]

الإسلام الحنيف كدين يستند على التوحيد لله سبحانه وتعالى الذي يعني: التحرر من العبودية لغير الله، وعلى القيم والأخلاق السامية التي أساسها الحب والرحمة

(1) كان العنوان "الاسلام السياسي" فقام المؤلف بتغييره الى الاسلامويون لرفضه المصطلح كما يبين في الورقة.

(2) 1 ـ آل عمران: 159. 2 ـ البقرة: 83. 3 ـ طه: 44. 4 ـ الإسراء: 53. 5 ـ الفرقان: 63. 6 ـ القصص: 55. 7 ـ الأحزاب: 70 ـ 71. 8 ـ الحجر: 85. 9 ـ المعارج: 5. 10 ـ المزمل: 10.

والتواصـل، والحكـم والمبـادئ الـتي تقـيم حيـاة النـاس بـالميزان والعـدل والتعـارف والاستخلاف.[1]

هو دين لا يستثني أحدا إلا من أبى ذلك، وهو دين واحد وليس دينا متعددا، لذا فالـدين الاسـلامي بشـموليته ورحابتـه يقبـل التعـدد ضـمن الثوابـت العقديـة، ويقبـل الاختلاف في اطار الاجتهاد، ويشجع على الخيارات في أمور السياسـة وشـؤون النـاس، وعليه فالإسلام واحد وليس متعدد.

ومن هنا فإن إطلاق صفة (الإسلام السياسي) أو (الإسلام الشعبي) أو (الاسلام الرسمي) أو (الاسلام السلفي) أو (الاسلام الاخواني) أو (الارهاب الاسلامي) وغيرها من المسميات والتوصيفات على ذات [الاسلام] هي محاولة لتجزيء الإسلام وتشـويهه، ربما تكون عند البعض من غير قصد، وعند آخرين مقصودة بحيث لم نجد مثـيلا لهـا عنـد توصيف الأحداث في الديانات الأخرى.

نرفض المصطلحات المذكورة، والأكثر انطباقا مع الواقع المتغير هو نسبة أي مـن هـذه الصـفات الى المسـلمين، بمعنـى امكانيـة القـول: المسـلمين الـرسميين أو المسـلمين السلفيين... الخ ما نرفض به عنوان الورقة منذ البداية أي مصطلح (الاسلام السياسـي) لأن الاسلام واحد ويضم مكونات متعددة، وقد يُفهم بأشـكال مختلفـة نتيجـة اخـتلاف الأفهام والثقافات والحضارات.

---

(1) أنظر سعيد حوى في مقدمته لرسائل الحب في الله والإخـاء لعبـاس السيسـي زميـل حسـن البنـا في موسوعة الاخوان المسلمين علـى الشـابكة (internet) إذ يـرى "الإسـلام قـد جعـل الإخـاء علـى ضربين: الإخاء العام والإخاء الخاص" ويشير لمفهوم الإخاء (العام) لعموم الأمة الإسلامية، ولـيس فقط المتمين للجماعة كما حصل لاحقا، بالقول عن السيسي (وقـد أراد بـذلك أن يبـثّ عواطفـه للمسلمين جميعاً تعويضاً عن واجبٍ يتمناه وهو أن يراسـل كـل مسـلم علـى حـدة، فكانـت هـذه الرسالة هي البديل وهي العوض.

كما أنها في الوقت نفسه تذكير للمسلمين جميعاً ان يحققـوا الإخـاء العـام ولمـن اسـتجاب أن يحقـق الإخاء الخاص.

بين (التيار) و(التنظيم)

لقد ظهرت الحركات والتنظيمات التي تقول بالانتساب (للإسلام) بشكل تخصيصي لفكرها وجماعتها مرتبطة بتراجع فكري حضاري حصل من مجمل الأفكار الكبرى الأخرى التي تصدرت جدول أعمال العالم العربي اثر انتهاء الدولة العثمانية أو قبيلها في بدايات القرن العشرين.

وإنه إذ يمكننا أن نعيد جذور هذه التنظيمات الى فترات تاريخية أبعد من العام (1922-1923م) أو لأسباب لا ترتبط فقط بغياب الاطار الاسلامي الجامع فإن حصرية المصطلح مرّ بأكثر من مرحلة، وهو ما سنسلط عليه الضوء بالبداية.

ظهر مصطلح [الاسلامي] أو [الاسلاميين]لأول مرة في كتاب "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" للامام أبوالحسن الأشعري وكان يقصد به عموم المسلمين على تعدد تياراتهم[1]، لذا فلم يكن يُفهم منه (تنظيم) كما هو التعريف اليوم لفئة محددة دون الآخرين من جماعة المسلمين، لذلك اعتبرهم د.محمد عمارة من حيث الفكر تيارات في الفكر الاسلامي هذا رغم أنه في مراحل تاريخية متقدمة تحولت الأفكار لعقائد وتحولت الجماعات الى فِرَق ثم طوائف.

أما الانتقال (بالإسلامية) الحصرية من مجال التيار القابل للتعدد دون غطاء تنظيمي حصري (بالتعريف الحديث) فلقد ارتبط حديثا بنشوء التنظيمات والأحزاب في القرن 19 والقرن 20 التي ارتبطت بصعود التيارات القومية والاشتراكية.

---

(1)يحتوي كتاب "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" للامام أبوالحسن الأشعري:على مجموعة مقالات خاصة بأفكار وأصول كثير من الفِرق الإسلامية، ويشتمل على كثير من الردود على الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، ويبين فيه المؤلف مزاعم المبطلين المكذبين، كما يوضح فيه مذهب أهل الحق وطريقهم، رادًا ذلك كله إلى الكتاب والسنة. ويفيد الكتاب في معرفة الديانات والتمييز بينها من معرفة المذاهب والمقالات.

تاريخ المسلمين حافل (بالتيارات) الفكرية المتعددة أو (الفِرق) ومجال التفريق بين الشكلين أن الفرقة ذات البناء الفكري المتميز تتحول مع الزمن الى تشكيل تنظيمي قد يأخذ منحى (الطائفية) وهو ما تعاني منه التنظيمات الاسلاموية اليوم.

رغم اختلاف المسلمين منذ الفتنة الكبرى إلا أن معظم الفِرق أو التيارات الفكرية الناشئة عُدت من تيارات أو فرق أو طوائف المسلمين باستثناء المغالية منها، وهي تلك المتطرفة المتعصبة التي غيرت في العقيدة بشكل صارخ وأحلت الدماء، وهذا الأمر اليوم بدأ يختلف كليا.

احتكار (الإسلامية)

إن الاختلاف الكبير في طريقة تفكير المسلمين (السنة والشيعة) قديما عن التفكير اليوم يتجلى في أحد الأشكال بتطور الفكر السياسي الى الشكل الحزبي أولا وبمزج الدعوي بالسياسي ثانيا، وبقصد رفع شعار "الإسلامية" في اسم أو فكر أو شخوص الجماعة المحددة دون باقي المسلمين الذين يضعنون ما بين البغاة أو المنافقين أو الكفار، وأحيانا دون الجماعات الشبيهة الأخرى.

ومن هنا نشأ احتكار مصطلح/ مسمى/ شعار (الاسلامية) واختلط المفهوم بذاك الأجنبي الذي أطلق علي الظاهرة الاسلامية منذ صعودها تسمية (الاصولية) رغم ان البدايات في الستينات والسبعينات من القرن العشرين شهدت صعود مصطلح (الإحياء الديني) و"التجديد" و"الصحوة" الاسلامية بتعميمها على المجتمع المسلم وعلى الفكرة، لا على جماعة بعينها سلبت المصلح لمصلحتها فقط.

بالنسبة للخلاف حول مصطلحي "الإسلاميون" و"الإسلامويون"، فإنه يجب التنبيه إلى أن هذا التفريق مستمد في الأساس من الترجمة عن الفرنسية كما يقول الكاتب عادل الطريفي[1]، وهي ترجمة استعملها كتاب ومفكرون عرب تأسياً بالاستعمال الدارج والشائع في اللغة الفرنسية. حيث يتم التفريق بين النعت (Islamique) والذي يعني

(1) يراجع موقع جسد الثقافة /http://aljsad.com/forum9/thread57145

"إسلامي". والنعت (Islamiste) والذي يعني "إسلاموي"، وكذلك(Islamisation) ، والتي تعني "أسلمة". هذه التفريقات في الفرنسية مهمة فالأول منها يعكس الامتداد التاريخي الطبيعي لفكر ما أو جماعة ما - أي المطابقة التاريخية الصرفة-. أما الاستعمال الثاني فيقصد به الفكر المستمد، أو الحدث عن أصل فكري أو جماعة من التاريخ القديم. هذا الاستعمال مهم وليس سلبياً كما يزعم رافضوه، لأن عدم الأخذ به يعني ببساطة إحالة فكر أو جماعة معاصرة إلى مرحلة تاريخية ومطابقتهما دون تمييز للفروق بينهما.

إن الاسلامية[1] كصفة لمُنتج فكري أو لأشخاص بعينهم أو لحزب أو تنظيم ما في مجتمع المسلمين لا تصح بمنطق إقصاء الآخر عن الاسلام، ما هو في الحقيقة هدف قيادات غالب التنظيمات التي تسخّر الدين لأهداف سياسية وحزبية ومصلحية (بغض النظر عن الشعارات الكبرى التمويهية التي ترفعها)، وليس على نمط الأحزاب المسيحية مقابل الاشتراكية في أوروبا، الأولى التي تجعل للدين دورا هاما في الحياة، والثانية التي تراه فرديا.

---

(1) يقول د.تركي الحمد: عند الحديث عن الإسلام وما يتفرع عنه من مفاهيم وصفات، نجد الصفات والمصطلحات التالية مثلاً:

Islam, Muslim, Islamic, Islamism, Islamist, Islamization

كل واحد من هذه المصطلحات له معنى مختلف عن الآخر، وبذلك يمكن التفريق بين الفرد المسلم Muslim، والإسلاموي Islamist، وبين الإسلام Islam، والإسلاموية Islamism، وما هو منتم للحضارة الإسلامية مثلاً Islamic، أي إسلامي وهكذا، فحين الحديث عن الإسلام ديناً يكون التعبير واضحاً من خلال المفهوم دون شرح أو تفصيل، وحيث يكون التعبير عن الإسلام بوصفة أيديولوجيا سياسية يكون التعبير واضحاً أيضاً، فالإسلام ديناً هو Islam والمنتمي إليه مسلم Muslim، أما الإسلام بوصفه أيديولوجيا فهو Islamism والمنتمي إليه إسلاموي Islamist، وليس إسلامياً Islamic، كما هو شائع في أدبياتنا السياسية وبذلك فإن إطلاق صفة "الإسلاموية" على الحركات والأفراد الذين يُسيسون الإسلام أو يؤدلجونه ليس فيه انتقاص أو تعظيم، بقدر ما أنه يعبر عن المسار الذي يتخذونه.

لذا فإن اطلاق صفة (الاسلامية) ما هو قائم بالتوصيف لحركات محددة في بلادنا الاسلامية هو توصيف مجمل ببُعد ديني اقصائي وبُعد سياسي حصري لا نُقره مطلقا، لأن كل مسلم فهو اسلامي مهما كان مقدار اقترابه من الدين ومهما كان رأيه السياسي أما الاسلاموي – وهي لفظة مغاربية منحوتة – فيقصد بها الأحزاب أو التنظيمات التي تدعي امتلاك الحقيقة والقداسة والصواب دون غيرها (حصريا) وتعمل على اقصاء الآخر ومن هنا نستطيع أن نبدأ بالتوصيف والتحديد بوضوح.

يقول المفكر الاسلامي د.حسن حنفي: (التدين والالتزام في جميع الأمور يعني التخلص من الأنانية والفردية، كما يعني رفض ألاعيب الاستعمار ونبذ لغة التفرقة الطائفية. ويعني بناء البلاد من أجل صالح الأبناء في الحاضر والمستقبل. وتلك هي تعاليم الدين الحنيف الواضحة في التعايش وعمارة الأرض. وطريق الوحدة الوطنية هو طريق التسامح، والتسامح هو جوهر تعاليم الإسلام)

القاعدة الكبرى

ظهرت الأفكار الإسلاموية التنويرية كأحزاب أو جماعات في ظل صراع حضاري أبعد من اقليمي داخلي، انتبه فيه المسلمون متأخرين لتأخرهم عن الغرب (رفاعة الطهطاوي، محمد عبدة، الافغاني، خير الدين التونسي....) وفي ظل ضعف دور الأزهر، ونتيجة ضغط متطلبات الحياة التي استدعت الحاجة للتعلم والصناعة والتجدد والعدالة ما كان قد اختفى في ظل الدولة العلية في اسطنبول.

جاء (التنور) أو (اليقظة) للشعوب العربية إذن كحاجة أشعلها تأخر الأمة مقابل الغرب، وجاء في ظل معطيات توزعت الأفكار فيها بين فكرة الجامعة الاسلامية خاصة بعد انهيار الدولة العثمانية وبين القومية العربية وبين الأممية الشيوعية.

القاعدة الكبرى التي ارتبطت بالتنوير لأصحاب المبادئ/ المرجعيات (الفكرانيات) الكبرى الثلاثة هي تحقيق اليقظة بالعلم والتنوير والتقدم وان اختلفوا

بأدوات التقدم إلا أنه حينها لم تكن الفكرة المحركة إلا مواجهة الغرب أو تقليده أو الاقتداء به أو الاستفادة منه، وهنا حصل الصراع بحدود التقليد أو الاقتداء.

على صعيد المرجعية الاسلامية الحصرية نشأت الأفكار التنويرية والاحيائية للاسلام وللمجتمع في دول المسلمين فتوزعت ما بين تيارات ظلامية كامنة وأخرى تنويرية، اصطدمت الأولى بالواقع المختلف فلم تستطع التكيف معه، وآثرت التقوقع وسعت الثانية للانفتاح.

بين "السلفية" و"الاخوانية"

منذ القرن الثامن عشر برز على المسرح "الفكر السلفي الوهابي"[1] كفكر متميز ضمن "جماعة المسلمين"، وكان أول تطور يحصل في المسرح السياسي – الديني منذ فترة طويلة لحقها بعد أكثر من قرن فكر "الجامعة الاسلامية" ثم تلاه فكر "الجماعة".

انتهى فكر الجامعة الاسلامية وتحوصل في مؤتمرات ومؤسسات خاصة مع ظهور الدولة الوطنية و تجذرها، و تعملق فكر (الجماعة) (الاسلامية) وفكر (الجماعة) (السلفية الوهابية) في مقابل فكرانيات (الشيوعية) و (القومية).

أدى اندحار القومي والشيوعي مع مجموعة من الهزائم العالمية، والعربية للفكرانيتين (الأيديولوجيتين) أن يبحث المجتمع العربي والإسلامي عن بديل لم يجده إلا

---

(1) محمد بن عبد الوهّاب بن سليمان آل مشرف التميمي (1703م – 1791م) عالم دين سني على المذهب الحنبلي يعتبره أتباع دعوته من مجددي الدين الإسلامي في شبه الجزيرة العربية حيث شرع في دعوة المسلمين للتخلص من البدع والخرافات وتوحيد الله ونبذ الشرك.

ولد في العيينة وسط نجد سنة 1703. لأسرة ينسب إليها عدد من علماء الدين،تعلم القرآن الكريم وحفظه. سافر إلى مكة والمدينة لتحصيل المزيد من العلم عبر منهج التلقي عن مشايخه. ثم توجه إلى الأحساء فأخذ عن شيوخها، وزار البصرة وبغداد؛ حيث اطلّع على علوم التصوف وفلسفة الاستشراق، وأنكر على كثير من العلماء ما سمعه من العلوم التي لا تتفق مع الإسلام – حسب فقهه للإسلام – وشرع في الدعوة إلى العودة إلى الإسلام كما فهمه العرب الأوائل. توفي في العيينة. (عن الموسوعة الحرة).

فيما اصطلح عليه بداية تحت مسمى الاحياء الاسلامي أو الصحوة التي حملت معنى العمومية التي تطورت لاحقا لتصبح وصفة سياسية لأي حزب يسعى للسلطة على ظهر الجماهير عبر البوابة الدينية التي تخاطب القلوب أكثر من العقول، في ظل الدولة الوطنية.

تختلف نشأة التيار السلفي عن ذاك الاخواني كتيار تحول لجماعة ثم الى تنظيم ثم لاحقا الى تنظيمات متعددة، وبغض النظر عن ظروف النشأة المختلفة فلقد كان هناك مجال تلاقي لأن مفهوم (الوحدة) (الاسلامية) كان مسعى في ظل تفتت وتشرذم رأي فيه الروّاد انتحارا.

تعدد السُبُل والتنظيمات

ذاب المسعى للتقدم أو تخليص الاسلام من البدع أو المسعى للعلم والتنور أو للوحدة في ظل صعود الدولة الوطنية، التي قضت فعليا على الأبعاد المذكورة وتفرغت للبناء الفوقي للدولة وترسيخها، وتقزمت الدعوات الاسلاموية لفترة طويلة وإن بأشكال مختلفة إما من الاستيعاب أو الإقصاء.

ومنذ الانهيار الأكبر في التجربة القومية العربية بعد وفاة جمال عبد الناصر 1970 ثم مع الانهيار الشيوعي عام 1990 تسلطت الأضواء على البدائل الاسلاموية[1] وصنفت ما بين (معتدلة) و(متشددة) خاصة لدى الدوائر الغربية التي سعت كالعادة لامتطاء ظهور هذه التيارات لتبقى محافظة على هيمنتها الاستعمارية على المنطقة بأي أداة كانت لا يهم المهم أن المصالح مصانة.

(1) يتم استعمال الأوزان "فعلوّي"، و"فعلوّية". مثل "العلمانوية"، و"القوموية" ويقصد بهما الصورة الحديثة المتطرفة، أو المغالية لهذا الفكر. ولذلك فإن النعت "إسلاموي" وغيره ليس مقصوداً للقدح أو الانتقاص من التيار الديني الأصولي في الإسلام المعاصر، بل هي في المقام الأول أدوات و أوعية للتحليل والتصنيف-بدر الراشد في صحيفة الاقتصادية.

تقاطعت التيارات الاسلاموية في حربها ضد الشيوعيين وبررت ذلك بشكل عقدي ما ظهر جليا في أعوام الحرب (1979-1989) في افغانستان إلى أن اندحر السوفيت واكتسب فيها الاسلامويون تجربة ثرية (فكرية وميدانية-عسكرية وتنظيمية) نقلوها الى أماكن أخرى في الشيشان والبوسنة وغيرها ولم تكن حتى حينه قد ظهرت علامات افتراق كبيرة كما حصل منذ انتهاء الحرب في افغانستان.

تعددت السُبل وافترقت الجماعات ويمكننا هنا أن نذكر مجموعة من الأسباب التي أدت لظهور التيارات الاسلاموية المختلفة منها: الاحتلال الصهيوني لفلسطين ومنها العدوان الغربي على الأمة (وإن تقاطعوا في هذه مع التيارات الفكرية العربية الأخرى)، ومنها القمع الذي مورس ضدهم، ومنها ابعادهم عن الحكم رغم استدراجهم للدول في كثير من المحطات لفعل ذلك، ومنها تجاربهم المختلفة مع عدة بلدان، اضافة لمحاولاتهم التميز العقدي عن عموم الشعب وأسباب أخرى كثيرة انتجت في السنوات الأخيرة سُبُلا وطُرقا وأحزابا من الممكن أن نرصد مثلا في بلد منكوب كالصومال 30 حزبا أو جماعة (اسلاموية) ما يثير الاستغراب الشديد.

التيارات المتشددة

تعددت التصنيفات للتنظيمات[1] وراج استعمال مصطلح المتعدلين مقابل المتشددين أو المتطرفين، وصنفت التنظيمات الاسلاموية بين هذا وذاك ولم تكن لا

(1) يرجع التصنيف للتنظيمات/ الجماعات/ الأحزاب لغاية أو أهداف جهة التصنيف سياسيا أوفكريا أو علميا من جهة، بمعنى أنه قد يكون للموقف المسبق دلالة وارتباط بالتصنيف، كما يرتبط التصنيف بالنظرة للمضمون أو شكل العمل، وعامة تصنف التنظيمات من حيث السرية ال3 علنية أو سرية أو شبه علنية ومن حيث الفكر إلى تقدمي أو رجعي، إلى يسار ووسط ويمين، أو إلى محافظ أو إصلاحي أوثوري أوانقلابي من حيث الوسيلة المستخدمة للتعبير والتغيير، وباختصار الى عنفي أو سلمي (لا عنفي)، وحسب العلاقة مع الجهة المحددة (خاصة الحكم) إلى موالي ومعارض، ومن التصنيفات الجديدة للفكر: فكر متسامح أو وسطي أومستنير و في المقابل متشدد (وقد يكون عنيف أو غير عنيف) أو متطرف أو متزمت أو متعصب أوراديكالي.

(الاخوان المسلمين) ولا (السلفيين) في قائمة المتطرفين أو الارهابيين الا بعد نقطة التقاء ثم نقطة الافتراق الكبرى التي تفاعل فيها الأطراف جميعا أثناء تواجدهم في أفغانستان، وحينها بالتحديد ظهرت التيارات المتطرفة وتلك المعتدلة وما أصبح يطلق عليها "الجهادية" فكان ايمن الطواهري صاحب مدرسة العدو القريب (أي المجتمع الاسلامي) أولى من البعيد (الامريكان) على عكس مدرسة اسامة بن لادن وما لم يجاريهم فيها آنذاك عبدالله عزام الذي ظل يصنف وجماعة "الاخوان" في سلة أو خانة الاعتدال.

كان لحصول التقابل بين تجربة "الجماعة الاسلامية" في مصر و"الجهاد الاسلامي" (المصري) المتطرفة، مع تجربة (بن لادن) الذي صعد بالفكر السلفي للمستوى القتالي (الجهادي) لأول مرة، ثم لاحقا ما حصل من التقاء في مصر (بعد الربيع العربي بشكل محدد) مع الاخوان المسلمين أن أصبح التمييز بين هذه التيارات الثلاثة صعبا، فكل منها يؤيد الآخر أو يدعمه أو ينسق معه وإن ظلوا على مجموعة من الخلافات المبدأية والعقدية والتنظيمية فيما بينهم.(راجع حوارات الاخوان والسلفيين الثقيلة التي تصل لحد التكفير من كل للآخر)

الولايات المتحدة والاسلامويين

كان للولايات المتحدة الامريكية وكما هو الحال مع أي قوة مهيمنة دور في تنشيط أوتصعيد بعض التيارات ومنها الاسلاموية لأن مبرر الدعم أو عكسه مرتبط حكما بشئ واحد فقط هو ليس العدالة ولا حرية الشعوب ولا الحق ولا الانسانية ولا حقوق الانسان، وإنما في اللعبة الدولية كل ذلك يتم استخدامه لتحقيق مصالح السيطرة والهيمنة السياسية والاقتصادية والعلمية والحضارية والفكرية والثقافية.

كان للولايات المتحدة مع عدد من الوكلاء المحليين دور هام في احتضان الاسلامويين باعتبارهم بديل جاهز ضمن لعبة (الاضداد) في ملعب الحكم، وهو المسيطر ومن هنا انبثق الدور وتسامي وتصاعد أو خفت أو خبا رغم ما قد يكون للاعب الثانوي من أهداف وآراء ومصالح مختلفة.

الاسلامفوبيا (رُهاب الاسلام)

الرهاب الإسلامي (إنجليزية:إسلاموفوبيا Islamophobia)[1] هـو مصـطلح ظهـر حديثا في المجتمعات الغربية معناه هو التحامل والكراهية تجاه المسلمين، أو الخـوف مـنهم أومن الجماعات العرقية التى ينظر لها على أنها إسلامية. بالرغم من وجود اعتراف واسع بـذلك المصـطلح وشـيوع اسـتخدامه، فقـد تعـرض المصـطلح والمعنـى الـذى يتضـمنه لانتقـادات. كـذلك يشـير المصـطلح المـثير للجـدل إلى الممارسـات المتعلقـة بالإجحـاف أوالتفرقة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين في الغرب، ويُعَرفه البعض على أنه تحيز ضـد المسلمين أو شيطنة للمسلمين.

وقد عرف الباحثون "الرهاب الإسلامي" على أنه نوع مـن العنصـرية، ولكـن هـذا متنازع عليه. فقد حمل بعض المعلقون على مفهوم الرهاب الإسلامي بانه يـتم اسـتخدمه لتهميش النقد لأشكال مختلفة من إسلام الأصولي عن طريق الخلط بينها و بين ممارسات فيها تحامل ضد المسلمين.

لا تزال أسباب وخصائص "الرهاب الإسلامي" مثار للجدل في الغرب. وقد افترض بعض المعلقين أن هجمات 11 سبتمبر نتج عنها زيـادة في ظـاهرة "الرهـاب الإسـلامي" في المجتمعات الغربية، في حين ربطها آخرين بتزايد وجود المسلمين في العالم الغربي.

لوحظ استخدام المصطلح منذ عام 1976 لكن استعماله بقي نـادراً في الثمانينـات وبداية التسعينات من القرن العشرين.ثم انتشر المصـطلح انتشـاراً سـريعاً بعـد هجمـات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول عام 2001.

يقول الكاتـب أشـرف طـانطو -بشـكل مختلـف- أن "مصـطلح الإسـلاموفوبيا أو إزدراء الإسلام، يعود لسنة 1910 ردا على المستشرقيين الغربيين وكتاباتهم، لكنهـا كلمـة بدأت تسمع وبقوة بعد سنة 2001 إبان أحداث 11 سبتمبر الإرهابية.

(1) عن الموسوعة الحرة في الشابكة.

وبصفة عامة يمكن أن نقول أن الإسلاموفوبيا مرض عضال يعاني منه الدول العربية المسلمة نتيجة لثقافة متخلفة مريضة عاشت لعقود وهي منغمسة في نظريات المؤامرة وأن أسباب تخلف العرب والمسلمين مرده للغرب المستعمر ولليهود والماسونية، وللأسف هذه الثقافة الرجعية العربية الظلامية أنتجت لنا الإرهاب، التمير، التقتيل من طرف الإسلامويين الذين لحد الان لا يعترفون بمفهوم الدولة الحديثة وبالديمقراطية وبالإنفتاح نحو الاخر (الغرب). بل هم ضد العقل وإستعماله."

يضيف الكاتب أشرف طانطو[1] الى ما سبق قائلا: "وللأمانة فالإسلام السياسي ساهم وبشكل كبير في تغذية هذه الثقافة الرجعية ووفر التربة الخصبة لتزايد ونمو الإرهاب، حينما إستغل وببشاعة الدين والقران الكريم في السياسة وديماغوجياته التواصلية مع الشعب خاصة منهم الشباب.

وللأسف يعتبر السيد قطب وحسن البنا المشتل الأم، في القرن ال20، لظهور المتطرفين، وجاء من بعدهم شيوخ البترودولار كالقرضاوي والعريفي وغيرهم من فقهاء التكفير والدعوية المتطرفة الكارهة للاخر غير المسلم."

الإسلامويون بين العَقَدي والسياسي

يتم الخلط المتعمد بين العقدي والسياسي لغاية تحصين الرأي الإنساني والحزبي في مواجهة الخصم، لذا ترفض الجماعات الاسلاموية الآخر تحت نظرة شمولية تتهم فيها المخالف إما بالكفر أو الردة أو النفاق أو غيرها من الصفات، ولذا تتعمد هذا الخلط تحت دعاوى أن الإسلام دين ودولة والإسلام والسياسة واحد في محاولة فجة للخلط ومن هنا تأتي الحرب للتيارات الفكرية الأخرى في المجتمع الإسلامي تحت دعاوي لا إسلاميتها.

وسنضع نموذج رفض الفكر المدني الديمقراطي في وعاء العلمانية والرد على أصحاب التعريف المقتصر على أن العلمانية هي فقط فصل الدين عن الدولة بإيراد آراء

(1) موقع البرلمان http://www.barlamane.com

تعارض هذا الرأي من المفكرين الإسلاميين المتنورين كما يورد د.نجم عبد الكريم[1] كالتالي: يقول المفكر الإسلامي د.محمد عمارة: «إسلامنا علماني بامتياز، وان مصطلح العلمانية، لا يمثل عدوانا على ديننا، ولا انتقاصا من إسلامنا، بل على العكس يمثل العودة بديننا الحنيف الى موقعه الأصيل، وموقعه المتميز في هذا الميدان».[2]

ويرى الأستاذ جمال البنا[3]:«إن ثمة علمانية إسلامية تتأسس على حرية الفكر والعقيدة، وانتفاء وجود نظام سياسي ديني في الاسلام».

ويرى الدكتور محمد رضا محرم[4]: «ان العلمانية، ليست هي المقابل للدين، ولكنها المقابل للكهانة..». «العلمانية هي التي تجعل السلطة السياسية من شأن هذا العالم، والسلطة الدينية شأنا من شؤون الله».

وما جاء من تعريف للعلمانية لمراد وهبة:[5] «العلماني هو الذي يرفض الاضطهاد باسم الدين، ويترتب على ذلك تمييزه بين أمور الحكومة المدنية، وأمور الدين، ويقرر ان هذا التمييز هو نتيجة للعلمانية، وليس سببا لها، فالعلمانية نظرية في المعرفة، وليست نظرية في السياسة!!».

«العلمانية محاولة في سبيل الاستقلال ببعض مجالات المعرفة عن عالم ما وراء الطبيعة». هذا ما ورد في صفحة 254 دليل المسلم لحسين أحمد أمين.

وبعد نقاش مستفيض يخلص د.نجم عبدالكريم بالقول: "اذاً، فالعلمانيون يرون ان نظريتهم تقودهم إلى التعامل مع الحياة بكل تشعباتها من المنظور المعرفي، والسياسي ولا علاقة لهم بفلسفة الإلحاد القائمة على العلاقة بين الدين واللاهوت، فهم يرون أن أسس

(1) في مقاله في "إيلاف" http://www.elaph.com/Web/opinion/2012/12/778070.html

(2) جاء ذلك في كتاب (الإسلام والسلطة الدينية) صفحة 93، 94.

(3) في كتابه (رسائل الإسلام والحرية والعلمانية)-الرسالة الثانية.

(4) هذا ما كتبه الدكتور محمد احمد خلف الله في جريدة «الاهالي» عدد 603 صفحة 10عن د.محمد رضا محرم في الصفحة 11 من مجلة (فكر).

(5) في مجلة «ابداع» عدد6 صفحة 9 لعام 1992.

الدولة العلمانية تقوم على إن حق المواطنة هو الأساس في الانتماء، بمعنى أن البشر جميعا يجب ان يتساووا أمام القانون، بغض النظر عن أية فوارق، وبدون وصاية من احد، الا حكم القانون الذي لا بد ان يساوي بين جميع المواطنين، ويكفل حرياتهم في العقيدة دون محاذير او قيود، وان المصلحة العامة وبالتالي الخاصة، هما أساس التشريع، وان نظام الحكم المدني يستمد مقوماته من دستور يحقق العدل، ويلتزم بميثاق حقوق الانسان وكرامة الفرد، من غير تمييز في العرق، أو اللغة أو العقيدة أو التفريق بين الرجل والمرأة. وكل هذه المطالب التي يدعو لها العلمانيون، ليس فيها ما يخالف في أن يكون الإنسان مسلما ملتزما بعقيدته، وينهج نهجا علمانيا".

يبين الباحث الفرنسي «أوليفيه روا» حول السمة المميزة للتنظيمات الفكرانية (الأيديولوجية) الإسلامية هي أنها تنزع إلى تصفية الدين من كل حوامله الثقافية من منظور طوبائي راديكالي يدعي وهم الوصول إلى النموذج الإسلامي الأصلي بالقطيعة مع كل التراث التأويلي للمسلمين، بما توظف له الأدبيات السلفية الكلاسيكية بطريقة مفتعلة وخاطئة.[1] ما يبينه «روا» هو أن هذه التيارات في نزوعها الأصولي تعتبر المؤسسة الدينية التقليدية عدوها الأول، وتعتبر التراث الإسلامي الوسيط تأويلاً منحرفاً للدين.

الاسلامويون والدولة الاسلامية

تعتبر "الدولة الاسلامية" ضمن مفهوم البيعة والخلافة (أو الامامة لدى الشيعة) فكرة مركزية لدى الاسلامويين وتنامت حديثا مع سقوط الفكرانيات الأخرى وفشل التجارب الاستبدادية في العالم العربي، وإن كانت النظرات لتعريف الدولة مختلفة فإنها

(1) من مقال د.السيد ولد أباه في الاتحاد الظبيانية

-----http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=83108□

ترجع بغالبها للمفاهيم المستندة للبيعة ووحدة الأمة بالشكل القسري الاستبدادي متجاوزة المفاهيم الجديدة لنشوء الدول وتطور الشعوب.

وعن مفهوم الدولة الإسلامية يقول الباحث محمد أبا الحكم[1] أن مفهوم الدولة الاسلامية لدى الاسلامويين (يختلف عن مفهوم الدولة الديمقراطية، فالدولة الإسلامية تعتبر كل قوانينها سماوية التشريع وبالتالي ليس للبشر حق المشاركة في صنع هذه القوانين، لأن ذلك يعد من ضروب الشرك والكفر وإنكار لمشيئة الله.

- فالحركات الإسلاموية.. وبحكم طبيعتها لا تقبل التعايش مع نقائضها حتى وإن حاولت (شكلياً) قبول ذلك، لأنها:

1- ترفض العلمانية. 2- ترفض القومية العربية.

3- تعمل بالتصور الشمولي للإسلام. 4- ترفض مبدأ الانفتاح.

5- إن هاجس الأمن يسيطر على قاعدة الحركة.

فهي بذلك تطرح نفسها كبديل عن نظام الحكم القائم، الأمر الذي يدخل الحركة في مواجهة مفتوحة مع السلطة.)

التيارات الاسلاموية والإقصاء

الفكر الشمولي الذي تحمله التيارات الاسلاموية يتميز بمجموعة من الخصائص أولها أنه يخص جماعة محددة، وإنها جماعة مقدسة منزهة لا تنطق عن الهوى هذا ثانيا، وأن دعوتها استجابة لأوامر الله ثالثا، وأما ربعا فقد تقع في محنة وظلم لكنها خامسا هي المنتصرة دون سواها لذلك سن حسن البنا آلية التغيير من خلال امتلاك عوامل القوة الثلاث بوحدة الكلمة ووحدة التنظيم وبالسلاح.

والفكرة الشمولية من حيث أنها تخص فئة دون سواها أصحبت مرتبطة بهيكل تنظيمي محدد تلتقط القداسة من النصوص فتتشربها لتُسقطها على القيادة فالتنظيم

(1) عن مقال له في شبكة البصرة بتاريخ 2 آب 2012

فالأعضاء الذين يمتلكون بظنهم درجة من القداسة تمنحهم تعريف الولاء والبراء من المسلمين الآخرين، ومن ثم الاستعلاء عليهم وإقصائهم.

وبما أنه يخص فهو يُقصي أي أن الخصوصية للفكرة المحتضنة ضمن الجماعة تقصي وتبعد ولا توالي، وتحرض ضد الآخر، وتشتم ثم تكفر، وقد تقتل المخالف المسلم الآخر.

والفكر الشمولي الاقصائي في جميع الأحوال متشابه سواء في حالة القومية الشوفينية أو الشيوعية أو النازية كما مع الاسلاموية المتطرفة.

يتصف فكر "الاخوان المسلمين" ومنهم "حماس" ضمن التيارات الأشهر في الفكر الاسلاموي الحديث بـ10 ميزات نجملها بالتالي كما نعددها في بحث سابق لنا[1]- أولا: المظلومية والضحية، ثانيا: المؤامرة وعدم الاعتراف (الإنكار)، ثالثا: القداسة والولاء، رابعا: الحصرية مقابل الإقصاء (الفسطاطين)، خامسا: التُقية والتبرير، سادسا: خلط السياسي الحزبي بالدعوي العقدي، سابعا: السمع والطاعة (كالميت بين يدي المغسل)،ثامنا: الممانعة والمقاومة، تاسعا:حاضنة للفكر المتطرف والتكفير، عاشرا: التميّز وعقلية العُصبة أو الطائفة.

الاسلامويون والعنف

ليس كل حامل لفكر متطرف أو متشدد أو منحرف أو مغالي بالضرورة يكون عنيفا، فقد يحتفظ بفكره هذا وينخرط أو ينعزل عن المجتمع وفي الحالتين هو يعيش "مجتمعه هو" في المجتمع العام لكن هذه البيئة هي البيئة أو المناخ المولّد للتطرف والعنف أو الارهاب.

(1) بكر أبوبكر في بحث (التفكير والتعبئة في الاخوان وحركة حماس) في دراسته المنشورة على موقع المزماة للبحوث.

إن كان الوضع الاجتماعي البائس والعزلة الفكرية-الثقافية، والشعور المتعاظم بالنبذ والنفور، إضافة لعدم القدرة في التعبير عن الذات من أسباب نشؤ التطرف سواء القومي أوالديني فإنه قد لا يؤمن بالسلاح للتغيير إلا أن مثل هذه البيئة الاجتماعية – الثقافية – الفكرانية (الايديولوجية) قد تصبح عاملا ضاغطا لإنتاج العنف والشر والإرهاب.

يطلق على الإرهاب الممارس من الجماعات المتطرفة ومنها الاسلامويين اسم الارهاب الناعم (أو الصامت) والإرهاب الصلب (أو الصاخب) مميزا بين البيئة أو المناخ (الناعم) وبين النتيجة (الارهاب الصلب).

ويفصل الكاتب عبد الله حميد الدين[1] رأيه على الشكل التالي:من معاني «الإرهاب الناعم» رؤية شمولية عن العالم والذات والآخر والتاريخ تجعل الفرد في حال رفض وصراع وجودي متواصل مع ذاته ومجتمعه والعالم أجمع. ويقابل ذلك «الإرهاب الصلب» المتمثل في أشكال العنف الدموية المختلفة. صحيح أن الإرهاب الناعم ليس عنيفاً لكنه يخلق المناخ الملائم لإفراز أشكال مختلفة من العنف الاجتماعي والسياسي، بدءاً من رفض المختلف وصولاً إلى التفجير.

يتضمن "الإرهاب الناعم" فعلين: الأول صياغة تلك الرؤية الشمولية والثاني بثها. والأمران أخذا في التشكل في نهايات القرن التاسع العشر كرد فعل على الاستعمار الغربي وتفتيت الدولة العثمانية، لكنهما تبلورا كإيديولوجية كاملة رافقها نشاطان سياسي وتثقيفي مع ظهور «الإخوان المسلمين» إذ استلهم «الإخوان» منذ بداياتهم الفكر القومي الاشتراكي بصيغته النازية والفكر الماركسي بصيغة لينينية. وبلغ الاستلهام مداه مع سيد قطب حيث يشعر القارئ أمام كتابي «ظلال القرآن» و «معالم في الطريق» أنه يقرأ «ما العمل» للينين أو«كفاحي» لهتلر. وأخطر ما قام به «الإخوان المسلمين» - بوعي

---

(1) في صحيفة الحياة اللندنية على الموقع http://alhayat.com/

أو بغير وعي- مزجهم بين الرؤية النازية/ اللينينية للعالم وبين الدين، مما أضفى قداسة الإسلام بأكمله على أيديولوجية شمولية إقصائية عنيفة. لذلك فما نسميه الإسلام السياسي هو في نهاية التحليل فكر شمولي لينيني/ نازي بثوب إسلامي ولا يمت إلى الإسلام بصلة.

يقول الباحثان هانسن وكاينز في دراسة منشورة عام 2007 بعنوان «الإسلام الراديكالي والإيديولوجية الشمولية: مقارنة بين إسلاموية سيد قطب وبين الماركسية والقومية الاشتراكية»: "بالرغم من كافة الاختلافات (بينهم) إلا أن جدلهم يتبع بنية واحدة: يتم تصوير التاريخ البشري بأنه صراع حياة أو موت بين الخير وبين الشر، حيث يهدد الأشرار الوجود الإنساني. وأولئك الذين يتجسد فيهم الخير عليهم رسالة إنقاذ البشرية بتخليصها من الشر وبتحقيق المدينة الفاضلة."

الاسلامويون بين تنظيمات "السلفيين" و"الاخوان" و"المقاتلة"

عدة اتجاهات رئيسة تداهمنا في فلسطين، والمنطقة العربية، وتنشر الفوضى والإرباك كما تنشر طريقة مختلفة في التفكير والنظر للأمور، وتكاد تمسك برقبة المجتمعات حتى لو لم تتبنى نظرتها إنما تسايرها أو تتماهى معها أو على الأقل تتجنبها هذا إن لم تكن طبيعة ما تنشره من منهج فكري قد تغلغلت عبر وسائلهم الاعلامية (الرائي والشابكة والمسجد ومواقع التواصل الاجتماعي والسلطة....) في المجتمع.

ومن هذه الاتجاهات يمكننا لتصنيف لسهولة العرض كالتالي:

1. الأخوان المسلمين (التيار الرسمي / القطبين / المتطرفين).
2. السلفيين (السلفية التقليدية / السلفية الحركية / السلفية الجهادية).
3. التيارات المقاتلة (الجهاد العالمي): وأشهرها اليوم كل من (القاعدة) و(داعش).

حيث سنعرج بسرعة كبيرة تاركين امكانية النظر لمن يبتغي التوسع الرجوع الى آلاف المصادر الورقية وعلى الشابكة التي تبحث في تاريخ وفكرانيات وشخوص هذه التنظيمات.

1 -**الإخوان المسلمون**

بدأت جماعة "الإخوان المسلمين" كبرى الحركات الإسلاموية المعاصرة في مصر كحركة شبابية أسسها حسن البنا سنة 1928. وتحققت كتنظيم عملي له بنية تنظيمية سنة 1944 ثم تمددت الجماعة/ التنظيم ليصير لها فروع في البلدان العربية مثل سوريا وفلسطين والأردن والسودان والجزائر واليمن.

يدعو الإخوان المسلمون الأنظمة العربية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية حسب وجهة نظرهم، وأن سبب تأخر المسلمين وانحطاطهم هوعدم تطبيقها، وقد ظهرت هذه المبادئ في الإنتاج الفكري للإخوان وكتابات منظري الجماعة الذين أثروا في مسارها كسيد قطب وعبد القادرعودة ومعاصرين مثل يوسف القرضاوي وفتحي يكن ومحمد أحمد الراشد وفيصل مولوي.

عرف تاريخ الإخوان مواجهات متعددة حاصة في مصر مع النظام سواء الملكي أوالجمهوري وانخرطوا في عمليات تصفية ومحاولات قتل، فسجن منهم عدد من القيادات ما أدى لتبلور التيارات الفكرية المتطرفة سواء التي ظلت داخل الجسد مثل تيار القطبيين المتطرف الذي يجهّل ويكفّر المجتمع، أو تلك التيارات المنبثقة أو المنشقة عليها مثل الجماعة الاسلامية (د.عمر عبدالرحمان) وتنظيم الجهاد الاسلامي (بزعامة د.فضل ثم أيمن الظواهري ونبيل نعيم)

2 -**السلفية الوهابية**

يطلق مصطلح الوهابية على الدعوة التي أطلقها محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية (بداية من نجد) أواخر القرن الثاني عشر الهجري (السابع عشر الميلادي).

والمحور الأساس للسلفية الوهابية هو قضية التوحيد وتنقية عقائد المسلمين وسلوكهم مما تعتبره خرافات وبدعا دخيلة.

وتنادي تلك الدعوة بضرورة الرجوع إلى مذاهب السلف في فهم العقيدة والقضايا المستجدة، وتعتبر تراث ابن تيمية وابن القيم أكبر دعامة لبنائها الفكري. وانتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية بسبب تبني ابن سعود لها كمذهب لحركته.

وأحيت السلفية الوهابية النقاش في كثير من قضايا الاعتقاد عند المسلمين، واتخذت مواقف مخالفة للكثير من التيارات الإسلامية التي اعتبرتها مخالفة لمنهج الإسلام.

وتحدد السلفية الوهابية لنفسها قواعد علمية من قبيل تقديم النقل على العقل (أولوية الحديث الشريف وناقليه وتراثهم سواء اتفق منطوقه مع العقل أم لا)، ورفض التأويل، واعتماد أقوال السلف. ولها وجود في عدد من البلاد العربية، وهي أقرب إلى كونها دعوة ذات طابع علمي لها أقطابها ممن يشتغلون بعلوم الشريعة، أمثال ابن باز والألباني.

إلا أن بيئة التزمت والتقوقع والماضوية والتعصب التي تعتبر هي بيئة هذا الفكر بتفسيراته المتشددة، قد أنتجت لاحقا مستوى مختلف من السلفية فيما يطلق عليه في مصر على سبيل المثال السلفية الحركية (التي تؤمن بالتنظيم) والسلفية التقليدية التي تنظّر لولي الأمر والوقاية من الفتنة وإدانة كل جديد، والثالث ما أصبح يعرف بالسلفية المقاتلة أو الجهادية

3 -السلفية المقاتلة (القاعدة) و(داعش)

تبلور هذا الخط في تنظيم القاعدة وهو يتمتع بمرونة أتاحت له الوجود في أكثر من دولة، مثل السعودية والعراق وسوريا إضافة إلى مجموعات أخرى في عدد آخر من الدول.

وتزعم التنظيم أسامة بن لادن الى أن قتل فترسم أيمن الظواهري على رأس التنظيم، وهو الذي كان سابقا قائدا لـ"حركة الجهاد الإسلامي" في مصر.

في حقيقة الأمر حصل التلاقح الفكري والتنظيمي والميداني-القتالي بين 3 تيارات في عشرية التواجد المشترك في أفغانستان (1979-1989 وما تلاها حتى سقوط طالبان) بين الاخوان المسلمين (عبدالله عزام) وبين السلفية التقليدية (بن لادن) وبين الجهاد المصري (أيمن الظاهري) ما أنتج الجنين المشوه اليوم للأفكار الثلاثة المسمى السلفية المقاتلة.

بعد سقوط بغداد عام 2003 برز اسم أبو مصعب الزرقاوي كأحد أبرز قادة التنظيم في العراق، وقاد حربا ضد الأميركيين وهو يتهم بأنه أحد الأطراف التي تسببت بالحرب الطائفية في العراق، والذي بايع "القاعدة" قبل مقتله، ليتلوه ثلاثة كان أشهرهم اليوم أبوبكر البغدادي صاحب داعش أو ما يسمى "الدولة الاسلامية" منذ العام 2014.

وقد شكل غزو العراق للكويت وما أعقب ذلك من بروز الوجود الأميركي والأجنبي في المنطقة ملمحا هاما في مسار القاعدة وفكره الرافض للوجود الأجنبي في الجزيرة العربية، وما يصفه التنظيم بالأنظمة الداعمة له.

وتشترك القاعدة مع التيار السلفي في مرجعيتها الثقافية، حيث يعتبر تراث ابن تيمية أحد أهم أعمدتها إضافة إلى تميزها بقراءة خاصة متطرفة جدا لكتابات سيد قطب وغيره.ويقولون بتكفير الحكام وفرضية الجهاد والحاكمية لله ويؤمنون بالقوة خير سبيل للتغيير والتحرير.

الاسلامويون والوضع الاقليمي

قادت أربعة مفاصل الى تكديس عوامل الغضب والتطرف الاسلاموي في نهايات القرن العشرين تحديدا، ففي المفصل الأول الذي كان بين العامين (1978-1979) يمكننا أن نلحظ الاحباط العام الذي رافق الانسحاب العربي من المواجهة مع العدو الصهيوني كليا عبر التوقيع المصري-الاسرائيلي على اتفاقية كامب ديفد في 17 سبتمبر1978 [1].

(1) تم التوقيع على الاتفاقية المصرية-الاسرائيلية في 26 مارس 1979 عقب كامب ديفد

كما كان لانتصار الثورة الايرانية في ذات العام أثرا معاكسا أي محفزا للأمة والتنظيمات عامة بين العامين 1978-1979 حيث التظاهرات العارمة ضد الشاه الذي هرب من البلاد لتحط طائرة الإمام الخميني في ايران بتاريخ 1فبراير1979، وما تلى ذلك من أزمة الرهائن في إيران التي كانت أزمة دبلوماسية حدثت بين إيران والولايات المتحدة عندما اقتحمت مجموعة من الطلاب الايرانيين في إيران السفارة الأمريكية بها دعما للثورة الإيرانية وأحتجزوا 52 مواطنا أمريكيا لمدة 444 يوم من 4 نوفمبر 1979 حتي 20 يناير 1981

أما الحدث الثالث في تلك الفترة فكان احتلال جماعة جهيمان العتيبي للحرم المكي في محاولة لقلب نظام الحكم ومبايعة "المهدي المنتظر" وكتعبير عن حالة الرفض للفساد في المملكة العربية السعودية كما رأى وموالاة النظام للغرب وذلك في 20/ 11/ 1979

كما يمكننا الإشارة للحدث الصاعق الآخر الذي أدى لوقوع التحالف الأقوى بين الغرب والعرب، إذ أدى الاحتلال الروسي لأفغانستان (دخلت القوات السوفيتية في 25ديسمبر .1979 وانسحبت من أفغانستان بين 15 مايو 1988 و2 فبراير.1989) لقيام بؤرة التحالف الأولى بين التيارات الكبرى الثلاثة وهي الاخوان المسلمين (د.عبدالله عزام) والسلفية (أسامة بن لادن) وحركة الجهاد الاسلامي (د.أيمن الظواهري)

أما في المفصل الثاني بين العامين (1989-1991) فلقد انتهى الوجود الروسي في أفغانستان وأعلنت الأحزاب الأفغانية انتصارها، واشتبكت في صراع مرير على السلطة الى أن غزت قوات طالبان أفغانستان، وبموت عبد الله عزام عبر اغتياله خلا الجو لكل من أسامة بن لادن وأيمن الظواهري.

وفي ذات الفترة بدأ تفكك الاتحاد السوفيتي في هزة عالمية كبرى ما أدى الى انتهاء نظام المعسكرين، الشرقي مقابل الغربي لتظهر أمريكا القوة الوحيدة في العالم فيتوجه الغضب الاسلاموي تجاهها خاصة بعد سقوط الفكرانيات الأخرى الكبرى (القومية الشوفينية والشيوعية).

وكان لدخول الجزائر في أتون الحرب الرسمية التي خاضها الجيش الجزائري ضد الاسلامويين [1] أن أشعل كوامن الغضب والاحساس بالظلم ما أدى للتوحش،[2] وراكم -كما تراكم عبر ما سبق- شظايا التطرف والتشدد بدءا من العام 1991 والعام الذي يليه [3] وهو عام إلغاء الانتخابات في الجزائر التي فاز فيها الاسلامويين وشكل سابقة تضاف لما أصطلح عليه الاخوان المسلمين في مصر باسم "المحنة" وهي فترات سجنهم وحظرهم إبان حكم الرئيس جمال عبد الناصر (1954-1970)

أما المرحلة أو المفصل الثالث (عام 2003) المؤسس للتراكم والنقلة فكان هو ما حصل من احتلال أمريكي هذه المرة للعراق وذلك إثر دخول بغداد[4] عام 2003 ما كان

---

(1) من الجماعات الاسلاموية التي شاركت بالعنف في الجزائر من قتل وخطف وتدمير وذبح: الجماعة الإسلامية المسلحة والحركة الإسلامية المسلحة والجبهة الإسلامية للجهاد المسلح والجيش الإسلامي للإنقاذ وهو الجناح المسلح للجبهة الإسلامية للإنقاذ.(الفيس) حيث بدأ الصراع في يناير عام 1992 عقب إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية لعام 1991 في الجزائر والتي حققت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ فوزا مؤكدا مما حدا بالجيش الجزائري التدخل لالغاء الانتخابات التشريعية في البلاد مخافة من فوز الإسلامويين فيها.

(2) كانت المذابح التي استهدفت سكان القرى لاتميز بين ذكر أو انثى أو بين طفل رضيع أو شيخ طاعن في السن وكانت طرق القتل في غاية الوحشية وكانت اصابع الاتهام موجهة إلى الجماعة الإسلامية المسلحة التي اعترفت بنفسها عن مسؤوليتها عن مذبحتي الرايس وبن طلحة في الجزائر كمثال وكان التكفير هو المبرر الذي إستعملته الجماعة فكل جزائري لا يقاتل الحكومة كان في نظرهم كافرا.(أنظر الموسوعة الحرة على الشابكة)

(3) اسميت الفترة من العام 1992 الى العام 2002 بالعشرية السوداء

(4) أطلق على ما حصل أسماء عدة منها: (الغزو الأمريكي للعراق أو حرب الخليج الثالثة) حرب العراق أو احتلال العراق أو حرب تحرير العراق أو عملية حرية العراق (هذه بعض من أسماء كثيرة أستعملت لوصف العمليات العسكرية التي وقعت في العراق سنة 2003 والتي أدت إلى احتلال العراق عسكريا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ومساعدة دول مثل بريطانيا وأستراليا وبعض الدول المتحالفة مع أمريكا حسب تعريف مجلس الأمن لحالة العراق في قانونها المرقم 1483 في 2003.

لاحقا للاحتلال العراقي للكويت عام 1990 وما حصل في السنوات الثلاثة عشر من حصار مرير للعراق، وما فجر الغضب الاسلاموي المتطرف سواء من جماعة أفغانستان أو من أبومصعب الزرقاوي الذي دخل العراق حينها عام 2004 ليمارس العمل العنفي ضد الوجود الأمريكي وضد الحكم العراقي كما ضد الشيعة بشكل مسرف أسس لاحقل لمدرسة التطرف الذي أنتج تنظيم "داعش" أو "الدولة الاسلامية" بقيادة ابراهيم بن عواد بن ابراهيم البدري السامرائي (أبودعاء) المكنى باسم أبوبكر البغدادي الذي أعلن دولته في العام 2014.

المرحلة الرابعة أو المفصل، هي التي من الممكن أن نرجعها للأعوام بين 2010-2014 حيث بدأ الربيع العربي الأخضر يتحول الى خريف أحمر ليكتمل الاحمرار مع تطور فكر التطرف مع صعود نجم البغدادي على حساب "القاعدة".

أصبحت منطقتنا العربية – الاسلامية أو ما يطلق عليها اسم (الشرق الاوسط) منذ ما أطلق عليه اسم (الربيع العربي) في حالة من الغليان التي انطلقت من حالة الانتفاضة أو الثورة ضد الظلم والاستبداد الى حالة من الفوضى أعقبتها في المرحلة الثالثة حالة من الحروب الداخلية والتفتيت والتجزيء والحروب الطائفية التي تم إذكائها بلا شك من القوى الكبرى وتلك القوى الاقليمية التي ركبت فرس التيارات الاسلاموية منذ صعد على أكتاف الثوار وادعت في أكثر من بلد قيامها بالثورة.

من ثورة الى فوضى الى حروب داخلية كانت حصيلة الوضع منذ العام 2010 – 2014 عندما صعد نجم (داعش) في شهر يوليو باحتلاله الموصل-العراق ليظهر هذا التنظيم بشكل مفاجئ ويُنحي جانبا كل من "الاخوان المسلمين" بتيارهم المتطرف المتمسك بالسلطة، كما ينحي ارتباطه السابق مع أيمن الظواهري زعيم القاعدة فيرسم مجموعة من علامات الاستفهام الكبرى على طريقة اللعب والأدوار الكامنة في تصعيد أو تقليص الأدوار للاعبين على مسرح الأحداث في المنطقة.

تتوزع القوى الاقليمية اليوم (نحن في العام 2015) المنطقة ما بين القوة القومية الايرانية المغطاة بالرداء الشيعي، مع القوة التركية العلمانية الاسلامية التركية المغطاة

بالرداء العثماني وثالثهما البارز (الدولة القومية اليهودية) أي الاحتلال الصهيوني، وكل من القوى الثلاث تتقاطع مصالحها أوتتصادم مع القوى الأخرى، ومع تلك الصاعدة أو الهابطة لكنها في جميع الأحوال تلعب في المنطقة تحت امره القوة العظمى المهيمنة في العالم وهي أمريكا.

إن حجم التقاسم الوظيفي في اطار الصراع المسيطر عليه من قبل القوى الثلاث يسعى لتحقيق توازن بالضرورة هو في صالح (اسرائيل) وبما يجعل من امريكا تمسك بالعصا من الوسط أو هكذا يجب أن تبدو، لأن كل اللاعبين يلعبون تحت عيونها وفي منطقتها ذات الأولوية الاقتصادية السياسية.

في المعادلة المركبة هذه يبرز هناك دور مخفي أو مغيب أو لم يستطيع حتى الآن أن (يحشد) قوته ويبني تحالفه وهو المحور العربي الذي يحاول اليوم ان يبني ذاته وفي مقدمته مصر والسعودية والجزائر.

تم تكسير السلاح في العراق ثم سوريا وليبيا منذ حرب الخليج الأولى عام 1991 فأصبحت الساحة مفتوحة للعبث والتجزئة والتفتيت والاستباحة للاعب الأكبر وملحقاته، وكان من المخطط أن تصاب كل من مصر ودول الخليج بنفس الداء ما تم تلافيه، إلا أن التوازن في المنطقة ما زال يصب في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت التيارات الاسلاموية في هذه المعادلة عبارة عن مطيّة تم استخدامها تماما كما تم استخدام ما سبقها من أحزاب أو أنظمة في خدمة الراعي الأول ورغم ما قد يكون لها من أهداف ومصالح أخرى إلا أنه تم استخدامها واستغلالها فعليا أحيانا برغبة منها وأحيانا بالتهديد وتارة بالتسهيلات وأخرى بالمنع فنشأ بذلك (غول) الأرهاب المتجدد للمرة الثانية بعد أم تم انشائه للمرة الأولى في الأعوام 1979-1998 في افغانستان.

إن المصلحة الاستعمارية الامريكية في المنطقة لا تخفى على أحد فكلما ضعفت الأنظمة والأحزاب والمجتمعات وتفتتت واقتتلت كلما زادت الهيمنة الاقتصادية – الثقافية – السياسية – العسكرية للاعب الأكبر وربيبه وبالتالي يطول عمر الهيمنة بإحداث (الصدام) المتعمد بين القوى و (فك الاشتباك) وفق ارادة ذات المعلم.

الآثار السلبية إقليميا وعالميا لانتشار ظاهرة الاسلاموين "المتطرفين":

1- تشويه صورة الإسلام عالميا وإظهاره في لبوس واحد فقط هو "الجهاد" بمعني القتل، و"التكفير" لكل مخالف ويصبح شعار "الله اكبر" مجلبة للغضب و الخوف بدلا من ان يكون شعارا للتحرر من عبودية وظلم الإنسان.

2- توتير العلاقات بين الدول العربية الإسلامية من جهة وبين تلك الغربية خاصة في ظل دعوات محاربة ما يسميه المتشددون الصليبية أو الصليبية اليهودية في خطاب الجهالة للإسلام.

نحن هنا لا ننكرر ما للعقلية الغربية الاستعمارية من دور في إذكاء الاحتلال وعقلية الاستعمار والسلب والمصلحية الرأسمالية، وزرع (إسرائيل) تحقيقا لمصالحها و لتفتيت الأمة و إغراقها في الفوضى، وعليه يجب الفصل بين الساسة المستمرون بهذه العقلية وبين المناهضين لها في الغرب وتعدد دولها وآراءها و ليس إطلاق الأحكام على عموميتها الخطيرة.

3- سيادة عقلية التقوقع و الانفصال و الانعزال عن العالم (جماعة المؤمنين) ما يجر إلى عداء الأقربين ثم عداء المجتمع فمعاداة العالم و النقمة عليه وصولا لمحاربته، وتشريع ذلك.

4- تصبح القضية الفلسطينية في ذيل الاهتمامات العالمية سواء لدى المتطرفين، أو لدى الدول المستهدفة بالإرهاب العربية أم الغربية.

5- يذهب الجهد العربي و الإسلامي الوحدوي سدى في ظل التطرف و التشدد و الإرهاب الذي تصبح جهود محاربته لدى الدول العربية أو الاسلامية أولى من التقارب والتكامل أوالوحدة

6- أدت موجة الإرهاب المتصاعدة من المتطرفين (أو العكس أي من الجماعات العنصرية تجاه المسلمين، أو من المسلمين تجاه بعضهم البعض بين سنة وشيعة) حيث كل منهما يغذي الأخر لتنامي ظاهرة العنصرية و العداء في المجتمع الغربي

ليس ضد هؤلاء وإنما ضد عموم المسلمين و الإسلام كدين (انظر مظاهرة برلين من أيام في يناير 2015 ضد المناهضين للإسلام،[1] ومشاركة المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل، و التي تلت مظاهرة الـ 3 مليون في فرنسا ضد مذبحة صحيفة "تشارلي أيبدو" الساخرة في باريس) ما يهدد معيشة المسلمين في هذه الدول، كما دمر استقرار المسلمين وغيرهم في الدول العربية التي ضربها الإرهاب و التطرف الداخلي.

7- تفتيت شمل الأمة إلى أديان متحاربة، والى طوائف متقاتلة وإلى تيارات متناحرة ما يهدد معيشة الناس وأمنهم واقتصادهم ومستقبلهم، وتواصلهم.

آثار الفكر الاسلاموي المتطرف على القضية الفلسطينية

استغلت وتستغل (إسرائيل) دعوات التطرف والتشدد الاسلاموي في 5 أمور:

1- تظهر نفسها الدولة الديمقراطية الوحيدة[2] في المنطقة، في ظل التشدد والطائفية والتطرف الذي يضرب المنطقة، ولا يوجد مثيله لديها كما تدعي، وهي حُكما بحاجة للوقاية منه بالدفاع عن ديمقراطيتها!

2- تبرر "اسرائيل" بالتطرف الاسلاموي نزوعها لتكون دولة "قومية لليهود" في فلسطين والعالم، إذ أن وجود "دولة اسلامية،[3] وأخرى علوية وشيعية وسنية وغيرها درزية من أماني الكيان الصهيوني في المحيط العربي، ومثبتات وجوده.

---

(1) هي جماعة ألمانية تطلق على نفسها اسم "أوروبيون وطنيون ضد أسلمة الغرب". (بيديغا)

(2) نتنياهو أمام الكونغرس: «إن شباب العرب الشجعان يتظاهرون من أجل المطالبة بالحرية والديمقراطية لمجتمعاتهم بينما يتمتع مليون عربي مسلم في "إسرائيل" بهذه الحقوق منذ عقود، ومن بين 300 مليون عربي في المنطقة يتمتع نصف في المائة فقط بكل الحقوق الديمقراطية» في مايو 2011

(3) يبدو أن الدولة الدينية والاستيطان الذي يترتب عليها هي أهم عناصر الود بين (اسرائيل) وتنظيم داعش كما يتكشف من أحدث تحليل للكاتب الأمريكي توماس فريدمان.

يقول الكاتب سامر باطر: أساء الكاتب الامريكي "توماس فريدمان" بطرفة عين مؤخرا، في أحدث "نظرياته"، لكل المسلمين ليستخف بقرابة ملياري مسلم، بالحديث نيابة عنهم واتهامهم بقوله "إن حلم كل مسلم سني تقريبا هو تأسيس الخلافة"، ولم يكن ذلك في سياق استكشاف ولع المسلمين

3-الاستمرار بالشحن ذو البعد الديني يؤجج الضمائر بلا طائل ضد الأديان لا ضد الاحتلال والاغتصاب من جهة، ويسمح (لاسرائيل) التدخل الميداني في إحداث التفتت للأمة العربية والاسلامية، ودعمها لكيانات طائفية مختلفة.[1]

4-تجدد الذرائع لتهجير ما تبقى من يهود بالعالم إلى بلادنا فلسطين، ولنا أن كيف استغل "نتنياهو" حادثة مقتل رسامي الكاريكاتور في صحيفة "شارل أبيدو" الهزلية لدعوة كافة يهود العالم وخاصة في فرنسا للهجرة الى "بلدهم إسرائيل" مدعيا أنها حق لهم منذ الولادة.

5-تعمل الدولة العبرية على مد الخيوط مع العرب[2] على اعتبار أن العدو ليس

وشغفهم، بل في سياق إسرائيلي واضح، إذ قال إنه "كما هو الحال مع كل اسرائيلي حيث يشعر في كيانه بأنه مستوطن في الضفة الغربية، فإن كل مسلم سني تقريبا يحلم بعودة الخلافة الإسلامية. " إذ هو يربط بين "داعش" كدولة دينية و(اسرائيل) والمستوطنات ويبررها كما في مقاله بالانجليزية –مرفق الرابط– باعتبارها كما يقول سامر باطر (أهم عناصر الود بين "اسرائيل" وتنظيم داعش)

http://www.thenewstribune.com/2014/11/12/3484151/what-to-pay-attention-to-in-the.html

(1) كتب المحلل العسكري في موقع "يديعوت أحرونوت" الالكتروني في شهر12/ 2014، رون بن يشاي، أن "ما يهمنا، هو أن معنى سيطرة 'داعش' واضح، وهو أنه أخذت تنشأ قاعدة واسعة للجهاد العالمي عند عتبة بابنا وعلى مسافة ليست بعيدة عن أوروبا." وعليه طالب الجنرال عوزي دايان "حافظ بحرص شديد على كنوزك الإستراتيجية، وخاصة الحدود الآمنة. وينبغي أن توفر الحدود الآمنة (لإسرائيل) عمقا إستراتيجية أساسيا، أي دفاع ضد تهديدات بشن هجمات تقليدية من الخارج وقدرة على قتال فعال ضد الإرهاب".

(2) دعا رئيس الاستخبارات الاسرائيلي الأسبق"عاموس يدلين" في 3/ 9/ 2011إلى [استغلال وجود "داعش"، الذي »يفتح فرصا إستراتيجية جديدة أمام (إسرائيل)، للتعاون مع دول أخرى المهتمة بالمس به" وهي الولايات المتحدة والدول الأوروبية ودول في المنطقة وعلى رأسها الدول السنية المعتدلة، وأيضا من خلال إنشاء وتعزيز علاقات عمل وثقة بين الأجهزة الأمنية".]

الاحـتلال بـل التطـرف الإسـلامي[1] (أنظـر مباحثـات ليبرمـان[2] مـع العـرب، وأحاديث نتنياهو حول العدو المشترك).[3]

---

(1)يرى الصحفي الإسرائيلي روني شاكيد في حوار مـع DW عربيـة في 23/ 10/ 2014 أن "داعـش" لا يشكل حاليا خطرا على (إسرائيل) ويرى أن إسرائيل تساعد بشكل سري في مواجهته.

حول طبيعة الاتصال بين (إسرائيل) وما أسماها دول الاعتدال العربي قال ليبرمان – في مقابلة مع صحيفة "يديعوت أحرنوت" الإسرائيلية اليوم الاثنين 14 ابريل 2014 وذلك قبل بروز نجم "داعـش" مـع احـتلال الموصـل في 9/ 6/ 2014 بأقـل مـن شـهرين- "عنـدنا الكـثير مـن القنـوات والسـبل للاتصال"؛ مؤكدا على وجود اتصالات سرية بين (إسرائيل) ودول الخليج العربي "، وأوضح أنّه: "لا يوجد خيار سوى التحول من مرحلة سرية المحادثات بيننا إلى مرحلـة إظهارهـا"، وسـيكون ذلـك في غضون سنة أو سنة ونصف وفقا لحديث ليبرمان.

(2) قال الوزير الصهيوني أفيغدور ليبرمان في 14/ 4/ 2014: أنه ليس لديـه مشـكلة في زيـارة الخلـيج العربي، مؤكدا: "كانت لي لقاءات واتصالات بهم منذ سنوات قليلة ماضية"، مؤكـدا أن (إسـرائيل) تقف إلى جانب دول الاعتدال العربي خلف مـتراس واحـد لمحاربـة حمـاس وحـزب الله والإخـوان المسلمين، مؤكدا أن وصف هذه الجماعات بالإرهاب في عدة دول عربية لا تقف خلفـه (إسـرائيل) أو الصهيونية.

وأضاف أن دول الخليج باتت تدرك أن الجهـات الـتي تهـددها هـي إيـران وحـزب الله (اللبنـاني) وتنظيم القاعدة، وليس (إسرائيل) .

(3)أكد المتحدث باسم رئيس الوزراء الصهيوني، أوفير جندلمان على "سـكاي نيـوز عربيـة"، أن العـرب والاحتلال يواجهان نفس التهديدات، مثل إيران والإرهاب وداعش وحماس.

وقال جندلمان: "رئيس الوزراء، نتنياهو، شدد أكثر من مرة أننا نحن والدول العربية المعتدلة – سـواء شئنا أم أبينا- أصبحنا في خندقٍ واحد، وهناك فرص جديدة لنعمل معًا على مصلحة كـل شـعوب المنطقة.. حماس أو داعش أو حزب الله كلها تريد بناء خلافة متطرفة على أنقاض شعوب المنطقة."

- See more at: http://rassd.com/22-115134.htm#sthash.7rTr5eUD.dpuf

أسس مواجهتنا للتطرف الفكري الاسلاموي[1]

في أسس المواجهة للتطرف يقول الباحث الكبير السيد ياسين[2] (تعرض مؤتمر شباب الباحثين الذي نظمه المركز العربي للبحوث بالتعاون مع وزارة الشباب لهذا الموضوع من خلال أبحاث علمية رصينة عرضت في المؤتمر وأثمرت مناقشات خصبة، أدت إلى صياغة عدد من التوصيات من المهم أن نعرض لها لكي نعرف كيف يفكر الشباب في هذه المشكلة، خصوصاً أن أنصار الجماعات التكفيرية الإرهابية يتشكلون أساساً من الشباب. وقد التفتت التوصيات بذكاء إلى ظاهرة العائدين من صفوف الجماعات الإرهابية في سوريا والعراق، فاقترحت 1-إعداد قاعدة بيانات عن الشباب المنضمين للجماعات الإرهابية في دول الإقليم ومدى انخراطهم في العمليات القتالية التي تقوم بها تلك التنظيمات.

ويرتبط بهذه التوصية 2-«ضرورة إنشاء مرصد يقوم عليه مجموعة من الباحثين المتخصصين لرصد الممارسات الإرهابية و3-صياغة برامج للأمن الفكري تتناسب مع الأوضاع المجتمعية والاقتصادية السائدة في الدولة». ويلفت النظر في التوصيات توصية مهمة وإن كان يعيبها أنها مجملة وتفتقر إلى التحديد لتوضيح الأبعاد المختلفة للمقترحات التي تدعو لها. 4-تقول التوصية: «ان تكون استراتيجية المواجهة للجماعات الإرهابية متعددة الأوجه تستعمل فيها الوسائل الأمنية والثقافية والتعبئة والإجراءات السياسية في خطة متكاملة). مضيفا ضرورة معالجة: (5- على ظاهرة التطرف الإيديولوجي بصوره المتعددة، الذي يقوم أساساً على تبني أفكار متشددة تعلي من قيمة الذات وتنظر نظرة دونية للآخر أياً كان).

مضيفا أيضا (6-تجديد الخطاب الديني من بين الوسائل الفعالة في مجال تفكيك الآراء المتشددة وتذويب الجمود الفكري لأعضاء هذه الجماعات. كما 7-أن ترسيخ

---

(1) تراجع دراسة بكر أبوبكر في مركز بيروت للدراسات http://www.beirutme.com/?p=5319

(2) مقال السيد يسين في موقع (نقطة وأول السطر) http://www.noqta.info/page-79750-ar.html

قواعد النقد الذاتي في المجتمع يعد آلية فعالية، خصوصاً حين يصبح ذلك تقليداً اجتماعياً تمارسه كافة الجماعات الإيديولوجية التي تتوزع بين اليمين المتطرف واليسار المتطرف) ليختم بالقول (إن أبرز المقترحات لصياغة سياسة متكاملة لمواجهة الإرهاب هي 8-إعادة صياغة العقل العربي حتى يتحول من عقل تقليدي إلى عقل نقدي (من النقلي الى العقلي) قادر على التعامل مع الأوضاع الدولية والسياسية والثقافية في العالم المعاصر، ولا يمكن تحقيق هذا الهدف بغير 9-ثورة تعليمية شاملة.)

(وكل ذلك يقتضي في الواقع 10-ممارسة ديمقراطية مفتوحة، ومجتمعاً مدنياً يسع الطاقات الكبرى للشباب، حتى يسهموا بفعالية في نهضة المجتمع العربي المعاصر.)

ونقول نحن في ورقة بحثية قدمناها أنه: يجب أن نحصر طريقة عمل الأشخاص أو / و الجماعات المتطرفة الاسلاموية التي تستغل (البيئة) و (المجتمع) و (العقل التقليدي) وطبيعة النكوص للماضي، واستفحال العقلية الاستهلاكية التي يقابلها الشعور بالنقص وعدم القدرة على مواكبة التقدم، اضافة للقدرة الكبيرة لدى هذه الجماعات على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

ولأن واجب المعرفة والفهم والتشخيص، ما يتلوه من نظر وتأمل وتفكير، يسبق البحث عن حلول فإننا من الممكن أن نرجع طريقة العمل التحريضي الى 3 أشكال:

1. **التشكيك**: من خلال إشعار الطرف المنوي استقطابه أنه مقصر بحق دينه أو ربه، فهو مبتعد عن الدين، ويعيش في كنف الحضارة المادية الزائلة، وإن مجتمعه جاهلي بكل تصرفاته، مع استعراض أمثلة من التاريخ المجيد والسلف الصالح، ومن الآيات والأحاديث، والواقع المبتعد عن الماضي الخيري... وغيرها من الأفكار التي تبغي التشكيك في الفكر والمجتمع كمقدمة للتالي.
2. **الهدم والبناء**: في حال بدأ المستهدَف يسأل المرسِل كثيرا، وهو في حالة خضوع للسهام التي أصابته، يبدأ بالانفصال شيئا فشيئا عن بيئته المحيطة به، فيتحول التشكيك القادم من المرسِل الى هدم لأفكار البسيطة أو المتواضعة التي كان يحملها المستهدَف لخلل في الأسرة أو المجتمع أو ذات الشخص، ويتجه نحو من

أبدى اهتماما تجاه، فيبدأ يتقبل الافكار الجديدة المتطرفة، ما يعني أن عملية الهدم المنظم في عقله وأفكاره قد تمت، لا سيما والاستخدام الكثير لقاعدة البيانات عنده (العقل التقليدي النقلي المؤمن بالعلو والتاريخ المجيد وخير أمة...) عبر الفتاوى المتطرفة التي تلوي عنق الحقائق، وتكذب على الاسلام (انظر كتب الشيخ سيد امام الشريف الذي ينقض الفكر المتطرف للجماعات الاسلاموية، ومنه كتابه المسمى "ترشيد الجهاد"، رغم أنه كان قائدا لتنظيم متطرف حتى العام 1993م).

3. **الوعد**: وهنا تتشابك تفسيرات مضللة للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة مع خيالات وأوهام وخرافات خالطت العديد من المرويات في الكتب الاسلامية سواء السنية أو الشيعية. فترى مفاهيم خيالية عن الخلافة والمهدي المنتظر والشريعة والسيف والجاهلية ومفهوم الأعداء وإقامة الشريعة والجنة والحوريات التي تخرج الانسان الى مربع المتلقي السلبي بعد ان استطاعوا (غسل دماغه) بعملية التشكيك المركّز ثم الهدم ليأتي الدور بالوعد بالجنة الموعودة سواء بالأرض أو السماء أو كلاهما عبر الانضمام لهم (للتنظيم المتطرف) وكأنهم هم الوسيلة أو الطائرة التي سيحلق بها وصولا للجنة.

ونحن في المقابل كمؤسسات وأطر وأشخاص من الممكن أن نتعامل بعد الفهم والتدبر من خلال 3 مكونات هي:

1. **التثبيت**: من خلال السراطية (=الاستراتيجية) الروحية المثلة: بالحب والصفح واللطف والمعروف والقدوة، وأيضا عبر إقامة مستوى متقدم من الحوار المستند على مفهوم الأمة الوسط، ثم الدفع بالعقل التقليدي ليتعصرن، كما حصل مع الشيخ رفاعة الطهطاوي والشيخان محمد عبده وجمال الدين الافغاني عندما احتكوا بالثقافات الأخرى وعندما أشادوا بضرورة التصدي للجهل والفقر المعرفي بالعلم والثقافة والفهم الصحيح للدين والتراث، فلا نظل نركض خلف الشعوب لاهثين فلا نصل، ولذا لا بد من القضاء على الآخر الصليبي والوثني الذي يدمرنا.

وتبني هذه الاستراتيجية يجب أن يحث عليه في كل المؤسسات والتنظيمات وفي الدولة وفي ذات الشخص ليكون خيارا متوافقا مع فهمنا المستنير للمجتمع والحضارة والدين.

2. **التثقيف**: ولنا في ذلك 6 نقاط واضحة لن نفصلها وإنما سنذكر سريعا هي:

1. التوجه للنهل من نبع العلم والمعرفة في كافة الاتجاهات وهادينا بناء العقل من خلال حسن التفكير الذي قال فيه الامام الغزالي (أنا لا أخشى على الانسان الذي يفكر وان ضل، لأنه سيعود الى الحق، ولكن اخشى على الانسان الذي لا يفكر وأن اهتدى لأنه سيكون كالقشة في مهب الريح).
2. المباشرة بتعلم العلوم المفيدة للأمة، وبناء عقلية التجدد والمبادرة والايجابية والإبداع.
3. القراءة العميقة في كتب الأدب المختلفة للأدباء والمفكرين والشعوب وعدم الاقتصار على كتب التاريخ والموروثات التي تحوي الغث والسمين وتغلق العقل.
4. مشاهدة العروض الخيالية (السينمائية) والمسرح وحضور الندوات والأمسيات الثقافية والفنية والشعرية.
5. الاطلاع على فكر وثقافة وتاريخ وتطور الاقوام والشعوب الأخرى.
6. اشغال الوقت بما هو مفيد عقليا ورياضيا وروحيا إذ لا محيص عن قراءة القرآن الكريم وحسن تدبر آياته والرجوع للتفاسير مع التنقيح العقلي، وعدم الاعتماد على تخاريف قديمة.

ومهمة التثقيف تقع على عاتق الشخص كما تقع على عاتق الأجهزة والمؤسسات والإعلام والمثقفين والمدرسة والبيت...

في كتابه مذكرات شاهد للقرن يري المفكر الإسلامي المستنير مالك بن نبي أن أمية المتعلمين أخطر من أمية الجاهلين بالقراءة والكتابة، ففي هذا النوع من الأمية يتم اختزال وظيفة العلم في تحقق المكاسب الذاتية، بدل الإسهام في بناء المجتمع. وهذا ما يطلق عليه اسم: الأمية الحضارية.

ويري مالك بن نبي أن الأمي الحضاري هو: الصبي المزمن الذي يظل قاصرا عن المساهمة في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية

3. **العهد**: والعهد أو العقد الاجتماعي يبدأ بعملية بترسيخ مفهوم (المواطنة) والمساواة للجميع في الوطن بغض النظر عن دينه أو قوميته أو طائفته، لذا يأتي ترسيخ احترام الدستور و القانون، وعادات المجتمع الحسنة في المقدمة، كما يأتي دور الدين بأنه حسن السير والسلوك (الدين المعاملة) و(الشريعة حيث تكون المصلحة) وبضرورة القيام بالعمل التطوعي لغرض إفادة الناس والمجتمع والبيئة، ولا غنى أيضا عن تحسين اتصالنا بأنفسنا ومع الله سبحانه ومع الآخر أي كان (وإنك لعلى خلق عظيم) وما ينتج عنه من حوار متواصل وقدرة على الاستيعاب لا تنقضي بل تتوسع مع الزمن.

والعهد قد يقطعه الشخص على نفسه فيحميها أو ترسخها التنظيمات أو كل مؤسسات الدولة معا.[1]

□
□
□
□
□
□
□
□
□

(1) استنادا لدراسة الكاتب والباحث بكر أبوبكر في هذا الشأن، تحت عنوان (الفهم الصحيح في مقاومة "التطرف" في المجتمع) التي ألقيت ضمن ندوة للمؤلف في قلقيلية-فلسطين 2014، منشورة في القسم الاخير من هذا الكتاب

الفصل الثاني

التيارات الإسلاموية المتطرفة و"وعاء الآلهة

الفصل الثاني

التيارات الإسلاموية المتطرفة و"وعاء الآلهة"*[1]

مرت تجربة الفكر الإسلامي بمراحل متعددة، وإن كانت البداية في شأن التعددية قد ارتبطت بالخلاف على السلطة والحكم والسياسة، فإنها سرعان ما مزجت بينها- كتجربة صراع سياسي فكري- وبين العقيدة فيما ينتج عنها الفتنة الكبرى في التاريخ الاسلامي.

ورغم أن التوزّع والاضطراب والاحتراب أصبح سمة المختلفين إلا أنه وبالاتجاه الآخر نشأت مجموعة من الأفكار والصراعات والحوارات التي جعلت من العقل الاسلامي عقلا متحركا مستنيرا لا يقبل بالقليل ولا يرضى بالمسلمات دون نقدها.

كانت فكرة العقيدة وفكرة القيم وفكرة السياسة تشير في محاولة جادة لمفكري المسلمين لتحقيق الربط بينها الا أن الربط لم يتحقق، إذ سرعان ما أصبح لكل منها أي العقيدة والسياسة والقيم مسارا ليس بالضرورة مرتبطا بالآخر، فحيث أصبحت العقيدة تعني القداسة والمطلق ويتم التعبير عنها بالعبادات والمعاملات وقواعد الإيمان، فان أخلاق التعامل لم تخضع بالضرورة لطبيعة الإيمان.

أما عن الشأن الدنيوي السلطوي السياسي فأبحر في محيط الإستثمار أوالاستغلال للعقيدة أو للقيم بما يوطّد السلطان والحكم إلا من رحم ربي.

---

(1) الدراسة هذه استنادا لفكرة من حلقة خاصة لحوار مع الكاتب في (فضائية عودة) مع د.عبدالمجيد سويلم حول التيارات المتطرفة وتأثيرها على الأمة والقضية، والرابط التالي للشريط على (يوتيوب).

https://www.youtube.com/watch?v=3MB6QmEJIcw

توزعت تيارات الأمة الإسلامية على قاعدة الخلافات الثلاثة (العقدية، القيمية/ الأخلاقية، السياسية) وما كان بينها من تقاطع أو تنافر أواستغلال، فنشأت الطوائف التي حملت عقيدتها على سيف السلطان (السياسة) وجيّرت (العقيدة) لمصلحة السلطان، وحاولت أن تتحلى بقيم وأخلاق جاذبة تؤهلها لموقع الإمارة أوالسيادة.

الأنشقاق الأول في التاريخ العربي الاسلامي لم يكن سهلا، إذ كانت أصعب فتراته في رحاب الخلافة الراشدة ما أنتج على مدار زمني طويل كل من السنّة والشيعة بفرقها أو مذاهبها المختلفة، كما أنتج مذاهب أخرى لم يكتب لها الاستمرار مثل الخوارج والمرجئة والقدرية.....

إلا أن الحوار الفكري ظلّ متصلا ولم يتوقف بين الأئمة والمجتهدين والفلاسفة والمفكرين، واستطاعوا أن يحققوا تلاقحا في التجارب والأفكار ما أنتج أفكارا مستنيرة واجتهادات، كان للعقل فيها دور رئيسي حتى أطلت عصور الظلام ببشاعتها على الأمة فحط العقل رِحالهُ ليسود خطاب (الستارة السوداء) ممثلا بتقديس ما لا يمكن الوصول إليه (الفكرة السامية) أو (الدولة/ الجماعة/ المجتمع النموذجي)،وصيغت بناء على ذالك مجموعة من الافتراضات حُمّلت على عبء الموروث وألصقت بسيرة سيد الخلق أوصحابته أو آله رضوان الله عليهم أجمعين.

ساد التمجيد والتنزيه والتقديس للتاريخ سواء للأفراد أو للمحتوى التاريخي، كما ساد لمجموعة من الوقائع والاستنتاجات التي أصبحت مسلّمات! وصلت في مراحل متعددة لدرجة أنها أعتبرت جزء من الإيمان لا ينفصل عنه مطلقا، مثل أفكار آخر الزمان، وافتقاد العدالة التي تحتاج لنبي أو "من يحمل عصاه" ليعيدها، في استلاب للآيات القرآنية التي ألقت العبء على الإنسان ليصنع يومه ومستقبله وحضارته بفكر ودعوة الرسالة المحمدية المهدية.

الصراع في الأمة، وما زال حتى اليوم، ينبثق من مدرسة العقل الناقد المجدد والمستنير والمتطور، ومدرسة النقل الماضوية التقديسية النصوصية، وثالثهما مدرسة

الإفراط والمغالاة التي أنتجت اليوم العقل الماضوي المتطرف الـذي مـزج بـين الماضـوية والتطرف والعنف وكأن هذا يؤدي الى ذالك.

كان يمكن للعقل الماضوي أن يعيش أمجاده في مجتمـع منعـزل، أوعلـى الأقـل في بوتقة (إناء) ما يُفكّر به (خيال أو واقـع افتراضـي)، وحـاول هـذا العقـل أن يجعـل مـن المصالحة الشكلية بين فِكرهِ المبوتق (المقولب الموضوع في إناء محدد) والفكر السـائد حالـة من التعايش، ولكن بجدران صنعها، لا تسمح للفكرالسائد في المجتمعات أن يخترقها.

رغم رفض التيارات الماضوية النقلية للسـائد في المجتمـع،الا أن منطـق مصـالحتها وتعايشها مع المجتمع بما فيه، لم يكن يعني منها الإقرار للسائد في المجتمع بصحة عقيدتـه أو ممارساته، وإن شدد على عدم القضاء على الفكر الآخر المختلف (بتكفيره أو قتله) رغـم رفضه له.

حديثا ومع ظهور فرصة قوية لخلق "مجتمع موازي" أو مجتمعات أصبحت الأمكانيـة أفضل لينتقل المجتمع المحلوم به من الواقع الافتراضي لدى التيـارات الماضـوية إلى الواقـع المعاش عبر3 أشكال، الشكل الأول من خلال (العزلة المكانية الجغرافية أوالهجرة) أو من خـلال المجتمـع المـوازي ممـثلا (بالجماعـة) أو (التنظـيم)، أو مـن خـلال (الواقـع الالكتروني/ الحياة الافتراضية)،.

سعت التنظيمات الإسلاموية منذ القرن العشرين وعلى أثر صدمة سقوط "الخلافة" أو السلطة العثمانية لإعادة مجد الأمة -كما تنظّـر لهـا-، إلا أنهـا توقفـت عـن الإشـعاع العقلي والعلمي والفكري الثري لـتخترع أو تتعامـل بـدلا مـن ذلـك مـع مجموعـة مـن "الأعداء" المفترضين كعامل استقطاب، دون أن تحصّن ذاتها في المسارات الحقيقية للنهضـة، وهي العلم والاقتصاد والوحدة.

قادت التنظيمات المتطرفـة والفكرالمُغـالي عمليـة ابتـدأت بـرفض المجتمـع القـائم باعتباره ليس مسلما بشكل كامل (جاهلي)، إلى أن أصـبحت التهمـة بـالرِّدة أو الـتكفير لازمة عند هذه الجماعات، وما كان من التبلـور لـديها لفكـرة (الخلافـة) أو (المهدويـة)

الخدّاعة، أو فكرة "الجهاد" بمعنى القتال الهجومي فقط، أو فكرة الأمة المقدسة إلا برهانا على خروجها في حقيقة الأمر عن سماحة الإسلام ورحابته وحقيقة دعوته للعالمين.

جاء الإسلام الحنيف للعالمين، ولم يأت للمسلمين لوحدهم، فكان أن أصبح سيف السلطان (الخلافة/ الإمامة) لدى هذه التيارات بتّارا أكثر من (القيم والاخلاق) والانسانية السامية التي تمدّد وانتشر لسببها الإسلام العظيم، حيث تنتشر الدعوة بالقلوب والعقول، وتتمدد الامبراطوريات بالحرب والقدرة العسكرية والاقتصادية، والفرق بين قوة الرسالة والامبراطورية، هو فرق بين البندقية وزراعة الأشجار المثمرة.

نظرية مثلث وعاء الألهة

الكمال-الجماعة-الظهور



لا ننكر أن عوامل كثيرة أسست لمنهج التكفير القطعي الاجتزائي والنصوصي منها الاستعمار الغربي، والاستبداد الوطني والقومي، وطبيعة المجتمعات السلفية الماضوية، وافتقاد منابر العلم والتدريس للمنهج العقلي والعلمي، وما حصل للأمة من نكبات سياسية متتالية وفي فترة وجيزة ليس فقط منذ نكبة فلسطين وإنما فيما قبلها وبعدها،كما لا يغيب عن البال الممارسات القمعية للأنظمة الحديثة، وإغراق الأمة في بؤس اقتصادي،

وجهالة وتخلّف، عدا عن تطبيقات "علمانوية متطرفة" في بعض البلـدان، كلـها عوامـل لا تلغي وجود درجة عالية من الاستعداد للتقبل لمثل هذه الأفكار في داخل البيئـة الحاضـنة التي أسست للفكر الماضوي المتطرف الجديد.

لا نريد الخوض في العوامل الخارجية المسببّة للتطـرف الاسـلاموي علـى أهميتهـا ووجاهتها، ولكن سنركز في التطور الحاصـل في (البيئـة) أو(الوعـاء) كمـا في (الفكـرة) وعوامل تجليّات أو ظهور الفكرة ما نطلق عليه اسم نظرية مثلث (وعاء الآلهة).

كل من الكمال والجماعة (التنظيم) والظهور تشكل الأضـلاع الثلاثـة لمثلـث "وعاء الآلهة" الذي يعتـبر الانخـراط فيـه الفـردوس المفقـود أو الجنـة الأرضـية أوالحقيقـة الافتراضية أو المجتمع المثالي التي يسعى (الكاملون) للعيش فيها في مساحة الجماعة.

أصحاب الفكرة (الكاملون كما يعتقدون، الألهة) مـن فاسـدي العقـل يتوجهـون لفئات بعينها وينخرون كالسوس في أدمغتها، فهم يختارون الفرائس من فئات محددة مثـل المتطرف في آرائه أو أفعاله، أوالعاطل عن العمل الناقم على حياتـه أو عائلتـه أو أبيـه أو بلده، المنعزل الانطوائي المتدين،المتعصب في تكوينه،أو المستنكف عن المواجهـة للغـير أو عن العمل، ويتوجهون نحو الجاهل علميا وفكريا وفقهيـا أو قليـل العلـم توجهـا يعطـي ثماره غالبا، ويتوجهون نحو شخص مظلوم أو مقصر دينيـا أومنبـوذ مجتمعيـا أو مـريض نفسيا، أو ذو طابع استعراضي أو متوتر وهـم في كل ذلك يستغلون البيئة السلفية النقليـة المجمدة للعقل التي يتربي عليها غالب هؤلاء.

إن (الكاملون) في جمـاعتهم يتطـورون، فـلا تبقـى الأفكـار فقـط هـي الجـامع أوالأفكار والعلاقات الداخلية، وإنما يتطورون ليعبّرواعن كمالهم ومجتمعهم الخاص عـبر الظهور للعلن.

نظرية مثلث (وعاء الآلهة)

الضلع1 :الكمال (نقاء واستعلاء): القداسة والطهارة والنقاء الفكري//الاكتفاء بما لديهم من تفاسير//كراهية الآخر ورفضه//احساس بالتفوق والتميز//الاستناد للشعار وتمجيد الماضي//("التصور الهوسي للنموذج النبوي"-محمد أركون)

(الفئة المستهدفة بالمجتمع:متطرف / عاطل/ متعزل/ متعصب/ مستنكف/ جاهل/ متعصب/ مظلوم/ مقصر دينيا/ منبوذ مجتمعيا/ مريض نفسيا/ استعراضي/ متوتر...)

الضلع2 :الحزب(الجماعة الربانية): تربية أبوية/إيحائية القلب/المجتمع بديل وموازي

الضلع3 : الظهور/التمكين : 1-الممارسة:الحرب/القتل/القيادة الزعامة/العلاقات الداخلية

2-القيم: المرعيين (المفتين:تحليل تحريم تخويف تأليف تسويغ أي أمر..-أبوحيان التوحيدي)

3-التمدد والتوسع: شخص جماعة دولة

4-الرعب: نصرت بالرعب، ترهبون

5-الإبهار: الظهور الاعلامي-التشنيع

أن نظرية وعاء الألهة افتراض قداسة،وكمال للذات في الشخص-كل شخص مع درجات ومراتب، وهو مرتبط بالضرورة باعتقاد واهم انها -هذه الشخصية-تمتلك الفكر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعليه تكتفي بذاتها وفكرها (وهو فكر جماعتها المشوّه) وبما لديها من تفاسيردينية أو تأويلات ذات طابع نقلي ماضوي مغلق، وهذا الشخص (الإله) في إطار انغلاقه يُنشيء كراهية للآخر، فما دام لديه إحساس طاغ بالنقاء والكمال فهو مؤهل للاحساس بالتفوق (ما هو وَهُم) والتميز.

ومثل هؤلاء المتطرفين الاسلامويين الذين يصفهم المفكر الكبير محمد أركون، هم الذين يصفهم بأنهم من يمتلكون "التصور الهوسي للنموذج النبوي" أي أن فكرتهم عن النموذج النبوي الشريف أنه لا يدانيه تطور أوتقدم مطلقا.

الكمال (في ذات الشخص) هو الضلع الأول في وعاء الألهة يكمله ضلع التنظيم أوالجماعة الربانية التي تقوم بتربية الأعضاء على السمع والطاعة قياما وقعودا، بعد أن تكون قد استدرجتهم بخطاب القلب والعاطفة الدينية لتغزو عقولهم فيصبح ما يقومون به من قبائح ورذائل قابل للتقبّل، لأن العضو هو النقي وهو الكامل داخل الجماعة النقية والكاملة مهما فعلت أو فعل قادتها من فواحش، فهم تحت إمرة القيادة (كالميت بين يدي المغسل) كما كرر كل من مختار نوح وثروت الخرباوي من قيادات الاخوان الخارجين من الجماعة، وتصبح الجماعة هي المجتمع البديل للمجتمع الحقيقي، ما يؤهل العضو للنفور من المجتمع العام أيضا، فهو مكتفي بما لديه وتتولد لديه منظومة كراهية ورفض للآخر وصولا لمحاربته.

إن ضرورة الظهور أو تحقيق التمكين تمثل للجماعة والعضو مطلبا ساميا فقد لا يكتفي بالعزلة الشعورية أو المكانية عن المجتمع فيما هو يعيشه من خلال أوهام أنه (أنهم) من سيعيد مجد الأمة وأنه من سيعيد "الخلافة" المدعاة "على منهاج النبوة" كما أعلنها أبوبكر البغدادي ومثله الكثير، وأنه و جماعته من ستستقبل "المهدي المنتظر" بالسجاد الأحمر والألعاب النارية، و(أنه وجماعته) لأنهم المطهّرين والأنقياء والمكتفين بذاتهم فلا داعي لوجود الآخرين الذين يصبحون حُكما مرتدين أو كفرة، بل يجب محاربتهم.

وهنا يستوجب الظهور والتمكين ما تعبر عنه التنظيمات المتطرفة أولا بصراع الزعامة وبممارسة الافتاء المضلِل وبالتكفير والقتل، وثانيا باستغلال القيم الدينية من خلال المفتين (جمع مفتي، ويسمونهم داخل الجماعات المتطرفة اليوم الشرعيين نسبة للشرع في داخلهم، مقابل القادة الميدانيين العسكريين) لتطويعهم لأي قرار تتخذه القيادة على اعتبار أنه من صميم الدين وصلب الايمان مقرونا بآيات وأحاديث يتم ليّ عنقها، أما ثالثا فإن الجماعات المتطرفة تسعى للتمدد والتوسع أفقيا وعموديا، أفقيا بالانتشار بين

مختلف الفئات وعموديا بتدجين الشباب والجهلة وقليلي المعرفة ليكونـوا أدوات للقـادة، أما رابعا فإن مـن مكونـات الـتمكين إرهـاب وإرعـاب الآخـرين بممارسـات وحشـية، وخامسا تستخدم هذه التيارات المتطرفة حديثا عنصر الصورة والصوت والإبهار لتعطـي لذاتها معنى القوة والعظمة والنصرة من الله.

الفصل الثالث

وعاء الوسطية والتيارات الماضوية

الفصل الثالث

وعاء الوسطية والتيارات الماضوية[1]

لن ألقي عليكم محاضرة أو وعظ ديني يثبت بالآيات الكريمة أوالأحاديث الشريفة وسطية واعتدال الدين الإسلامي الحنيف، لأنه إذا كان المقصود من العنوان إثبات ما هو مستقر أو تأكيد المؤكّد بتوصيف الدين الاسلامي وإطلاق الصفات عليه، أو نزع تُهم موجهة اليه فلا أرى سببا لدينا، إلا أن انتشار الفكر الماضوي السلفي المتسق مع الفكر الإخواني الحركي ومع "السلفي المقاتل" هو السبب الذي يستدعي من بعض المسلمين الحاجة للذبّ عن سماحة ووسطية الاسلام الواضحة في الوثائق الثلاثة الكبرى وهي القرآن الكريم وسيرة الرسول والتاريخ.

الرسالة واحدة

لن أدافع عن الدين الاسلامي أو أي من الأديان التي سبقته[2] بمنطوق الرسالة الحقيقي الذي أوحاه الله لأنبيائه لأن الرسالة واحدة منذ آدم وهي رسالة التوحيد،[3] وفي

---

(1) قدمت الورقة تحت عنوان (الدين وسطية واعتدال وتسامح.) في "مؤتمر رسالة القدس:الوسطية والاعتدال" التي عقدت في فلسطين- أريحا 17-18/ 11/ 2013 .

(2) من المعلوم أن الديانة اليهودية كمثال طالها التحريف والتخريف فاحتوت كتناخ (التوراة وملحقاتها) على أكاذيب وقصص وخيالات وأحلام وآمال وخزعبلات رُكّبت على التاريخ والدين (أنظر في ذلك كل من زئيف هرتزوغ وإسرائيل فلكنستاين، وشلومو ساند، وكيث وايتلام)، ودحض علم الآثار والعلم البحثي الحديث مرويات التوراة، إذ لم تقع الأحداث المذكورة فيها في بلادنا فلسطين أو القدس-قدسنا مطلقا، وإنما في فضاء جغرافي آخر، وللاطلاع أكثر على كتابات فاضل الربيعي وأحمد الدبش وفرج الله صالح ديب.

(3) يقول الله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه

العبودية المرتبطة بالتوحيد تحرّر من أسر المستبدين الذين يصورون أنفسهم في روع الناس مقدسين أوآلهة دون الله. فلم يعد الإله صنما من حجر يُعبد، وإنما هو في كل زمان وثن بشري، ومن هنا كانت الرسالة الواحدة ذات الهُدى الأكبر الواضح الذي يتفرع عنه مفاهيم (التكريم) للإنسان و(الاستخلاف) و (الأمانة)[1] مقابل ما هو مطلوب منه من عبودية خالصة لرب العالمين.

بناء على ما سبق لست معنيا إطلاقا بإثبات وسطية واعتدال وسماحة الدين الاسلامي الواحد منذ آدم حتى اليوم.

إن العنوان الصحيح الذي من الممكن أن أتعرض له هو وسطية واعتدال وسماحة المسلمين، هل نحن كمسلمين اليوم كذلك أم لا ؟ هل نأخذ (الوسطية) بالكلية الاسلامية؟ أم نتفرع بالفهم لتقسيمات المسلمين ما هو قابل للنقاش؟

نعم يستقيم النقاش عندما نتحدث عن نظرة المسلمين وأفهام المسلمين وآراء المسلمين، فإذا ابتعدنا عن التقسيم الطائفي والمذهبي للمسلمين، وإذا ابتعدنا عن التقسيمات المرتبطة بالحركات أو الجمعيات أو الأحزاب الاسلاموية الحالية يبقى لنا أن نناقش مستوى النظرة العامة والفهم المرتبط بطبيعة البيئة والأفكار الكبرى المنتشرة في الوطن العربي والعالم الاسلامي.

من يشاء ويهدي إليه من ينيب) (الشورى 13) ويقول د.محمد عمارة أن التوحيد ثورة تحريرية تعتق الانسان بكل طاقاته من العبودية لكل الأغيار.

(1) يقول الله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (الاحزاب 72)، ومن تفاسير معنى الأمانة أو (الميزان) لدى المسلمين أنها العقل.

الفكر الماضوي مقابل الفكر التجديدي

تنتشر في العالم الإسلامي اليوم، وبين المسلمين أشكال من الارتباط بالإسلام، ما يمكن أن نراه عبر البناء الفكري الإنساني والتعبئة الإنسانية والبيئة الحاضنة، من خلال نظرتين أوعقليتين أساسيتين كالتالي:

- النظرة أو الفكر الماضوي السلفي.
- النظرة أو التفكير التجديدي التنويري.

وكلاهما على تناقض تام، ويسير باتجاه متعاكس، لأن كل منهما ينهل من نبع مختلف مرتبط اسلاميا تاريخيا بمنطق ترسخ عقلية "النقل" أو المدرسة النصية،[1] وتطليق النقد وهي ما أصبحت الآن العقلية النقلية الماضوية مقابل مدرسة العقل التي استقرت في التاريخ الاسلامي لدي عدد من مجتهدي المسلمين القدماء،[2] وبعض الأفكار المنسوبة لآخرين من المجتهدين الذين امتدوا بشكل تنويري في هذا الزمان ليرتبطوا بكل من الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وعلى شريعتي، ورشيد رضا في بداياته، وخير الدين التونسي، والطاهر عاشور ومحمد عابد الجابري ومالك بن نبي والشيخ محمد الغزالي والشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد أبوزهرة ود.حسن الترابي وغيرهم الكثير.[3]

---

(1)العقل جهاز إدراكي موجود في الإنسان، الفائدة منه التمييز بين ما ينفعه وما يضره من خلال النظر في الأشياء والوقائع والأشخاص والنصوص،أي هو أداة التفكير والوعي والتمييز،أما النقل فهو بالدرجة الأولى الوحي بشقّيه القرآن والسنة ثم ما تعلّق به من أقوال العلماء وأقوال الصحابة والتابعين تحديدًا، وللنقل – عند علماء الدين – عدة اصطلاحات كالوحي والخبر والأثر والسمع.

(2)لا يجد أتباع المدرسة النقلية السلفية الجامدة اليوم إلا (المعتزلة) في التاريخ الاسلامي ليشوهوا منطق العقل عندهم، ويضيفون الفلاسفة والصوفية وغيرهم، رغم النتاج العلمي الهام لكل هذه التيارات.

(3)لقد قرّر ابن تيمية من قديم أن« العقل الصريح لا يُعارض النقل الصحيح، بل يشهد له ويؤيده لأن المصدر واحد فالذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل، ومن المحال أن يُرسل إليه ما يُفسده.''

إذن هناك مدرستين حديثتين-قديمتين وإن اختلفت المنابع في المنهج الفكري، حيث دخلت روافد جديدة على كلاهما اليوم هما كما قلنا مدرستا النقل والنص مقابل العقل أو ما اصبحت مدرسة النقل الماضوي السلفي النصي مقابل العقل التنويري التجديدي، وما يتم الخوض في أجزاء منها أحيانا في الأدبيات العربية والعالمية تحت عنوان الأصالة والمعاصرة.

بلا شك أن إطلالة القرن العشرين كانت مرتبطة بفكر اسلامي مستنير نظر بتمعن الى الغرب، وبحث في التاريخ فاستطاع الربط بين المفهومين أي الفكر العلمي التجديدي في الغرب والفكر الايماني اليقيني المتفتح في التاريخ الاسلامي فنشأت المدارس التجديدية الاسلامية وهي مدرسة العقل الاسلامي المستنير الوسطي والمبدع.

نشوء التنظيمات والأحزاب

كان الفصل الكبير والمتغير الرئيس في الفكر العربي الاسلامي هو نشوء التنظيمات أوالجماعات السياسية التي ترفع لواء الدعوة في ثوب السياسة أو العكس، ما كان مخالفا كليا لكل مذاهب المسلمين أو المنظّرين أوالمفكرين الذين كانوا يتعاملون مع عموم الأمة، وليس برسالة موجهة خصيصا لجماعة "مؤمنة" أو جماعة محصنة أو جماعة مخصصة دونا عن سواها ما أثمر عقلية جديدة مهدت البيئة لاحقا لتعبئة وتحريض وتفكير حصري اقصائي.[1]

ورغم وضوح هذه العبارة وحصافتها فإنّ أتباع ابن تيمية في هذا العصر أشدّ الناس اتهامًا للعقل وتبرمًا من المدرسة العقلية القديمة والحديثة، وأكبر تشنيع لهم على خصومهم الفكريّين اتهامُهم بالعقلانية والاعتزال ولو كانوا من العلماء الراسخين والدعاة المجاهدين.(الكاتب عبدالعزيز كحيل في يقظة فكر).

(1) منذ الخلاف الكبير بين الصحابة علي ومعاوية انشقت الأمة الاسلامية بين الأفكار السياسية السلطوية، وتكاثرت "الفِرَق" التي كانت تعتقد أنها تسعى لتثبيت الدين الصحيح عبر كسب السلطة بالدعاية لعائلة محددة أو فرقة معينة دونا عن غيرها، فظهر أدعياء الحصانة من أنبياء مزيفين ومن أئمة معصومين أو مقدسين، وإن كانت معظم الفرق المغالية "المتطرفة" قد انقرضت الا أن ما يحصل

وكان المتغير الكبير الآخر في نفس سياق نشوء الجماعات مع الأفكار الكبرى هو انتشار مفهوم (ولي الأمر/ الأمير) وطاعته وجوبا بغض النظر عن حجم صلاحه من عدم صلاحه، ما شرّع للاستبداد وشرّع للظلم وشرع للطغيان الذي أشار له عبد الرحمان الكواكبي في كتابه الشهير طبائع الاستبداد قبل 100 عام.

إذ استطاع الفكر[1] المتجدد أن يستوعب الكثير من الأفكار الوافدة ويدمجها في مناهج التفكير الاسلامية، فإن صدمة التفوق الغربي التي فاجأت العقل السلفي الماضوي لم يتم استيعابها فاضطر هذا العقل للنهل مما يؤكد هويته من ذاك المخزون المرتبط بالموروث والتاريخ الاسلامي بغثّه وسمينه.

بروز نواة التطرف المعاصر

حصل التلاقي بين الفكر الماضوي السلفي والفكر الإخواني الحركي والفكر المنشق على الاخوان والتكفيري منذ العام 1979 [2] ليتم تأسيس ما أصبح لاحقا يسمى (السلفية الجهادية).

في عالمنا اليوم ونحن في العام 2014 يمثل ردة ونكوصا لمرحلة "الخوارج" بحيث تحول الفكر النصي النقلي الى بيئة خصبة مفرخة للنوع الثالث وهو الفكر الماضوي المتطرف.

(1) يعمل العقل المسلم لتحصيل العقل والمعرفة ادوات "النظر" و"التدبر" و"التعقل" و"البينة" و"البرهان" و"الجدل" مما وردت نصا كمصطلحات في القرآن الكريم بعشرات الأيات لتعني التفكير والحصول على اليقين والايمان. وقال الإمام المتكلم أبوعلي الجبائي (إن الواجب الاول على الانسان هو النظر=التفكر) بينما قال أبوهاشم (إن الواجب الاول على الانسان هو الشك)-د.محمد عمارة في كتاب معالم المنهج الاسلامي، دار الشروق، طبعة 2009، ص58 لذا فالتفكر فريضة شرعية

(2)في هذا العام 1979م حصلت 3 متغيرات كبرى منها توقيع الصلح بين مصر والاسرائيليين في كامب ديفد، وفي العام هذا احتل الاتحاد السوفيتي أفغانستان، كما انتصرت الثورة الايرانية على الشاه ما أسهم في ارتفاع مد التيار الديني كثيرا.

إن هذه الإطلاله اللازمة هي بضرورة نقض العنوان من جهة وإلقاء عبء الاثبات بمنطق الوسطية أو الاعتدال أو التسامح على ذات فكر المسلمين الإنساني بتياراتهم وفعلهم الذي يقول بالكثير المتناقض.

ما هي الوسطية؟

إن الوسطية والاعتدال والتسامح نسيج عقلاني يعبر عن نفسه بكثير من التعريفات التي منها أن (الوسطية تعني الاعتدال و الاستقامة والعدل والتوازن ويقال أنها تتغير بحسب الاجتهادات ولا تصلح أن تكون مصدرا للتوافق السياسي أو الفكري أو الاجتماعي وذكر البعض أن الوسطية مصطلح غامض وأنكر أن يكون لها تعريف مطلق لأنها اصطلاح نسبي)[1]

والوسطية مأخوذة من الوسَط الذي هو بمعنى: العدل أو الخيار، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:143].

وعند فقهاء المسلمين (الوسط هو الخيار والأعلى من الشيء، والوسط من كل شيء أعدله، وأصل هذا أن خير الأشياء أوساطها، وأن الغلو والتقصير مذمومان)

ويقول د.محمد راتب النابلسي أن "كلمة وسط كلمة دقيقة جدا، الوسط أي بين المادية المقيتة وبين الروحية الحالمة،بين الحاجات الملحة والمُثل البعيدة، بين الفردية الطاغية وبين الجماعية الساحقة، بين العقلانية الباردة وبين العاطفية المتأججة."[2]

إن الوسطية مطلوبة، وهي الاعتدال في كل الأمور الدينية والدنيوية كما يذكر الشيخ أبوسعيد الجزائري، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: " ما خُيِّرَ رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما، فإن كان إثما، كان أبعد الناس منه " و إن الإسلام الذي بعث الله به رسوله محمد صلى الله عليه و سلم قد رفع

---

(1) فيحاء القواسمي، الوسطية في الاسلام والقرآن، بحث صدر عام 2009.

(2) موقع الشيخ د.محمد راتب النابلسي على الشابكة .

فيه الحرج في التكاليف الشرعية،فلم يكلف الله أحدًا فوق طاقته،و لم يأمره بما يزيد على وُسعه، قال تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)(الطلاق8)

الوسطية أو الاعتدال كما هي كل المفاهيم والتعريفات والمصطلحات قابلة للتأويل[1]، ونسبية القياس فكل تنظيم أو فكر اليوم يستطيع أن يدعى أنه ممثل "الوسطية" على اعتبار فهمه الخاص للمصطلح، أو علي اعتبار أنه ممثل الاسلام حصريا-وهنا المشكلة الحقيقية- وكل الفكر الانساني الناشيء عنه.

في جميع الأحوال فإننا نستطيع القول التالي:

1. إن الاديان ذات المنبع الواحد منذ النبي آدم تدعو حُكما للوحدانية وما ينبثق عنها من قيم سامية منها التسامح والاعتدال والوسطية.

---

(1) يقول د.محمد عمارة (الوسطية الجامعة أهم سمات وخصائص الإسلام بشرط أن يفهمها المسلمون فهما صحيحا، وأن ينقلوها للآخر كما أرادها الله عز وجل) موضحا أن (الإسلام تميز بأنه حدد حدود لدور الفرد في الكون في إطار واسع وشامل هو الاستخلاف،والتي تجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة فتكون موقفا جديدا مغايرا للقطبين المختلفين ولكن المغايرة ليست تامة، فالعقلانية الإسلامية تجمع بين العقل والنقل والإيمان الإسلامي يجمع بين الايمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة والوسطية الإسلامية تعني ضرورة وضوح الرؤية).

وتتحدد ملامح الوسطية الجامعة (بأنها تعتمد على كتابين هما كتاب الكون "الطبيعة" وكتاب الوحي وهي بذلك تجعل المسلم يبني حضارة لا تنفصل عن الله وعن السماء بل تجمع بين عناصر العدل والحق من كتاب الله المسطور والمتطور).

مضيفا (أن مكانة الإنسان في المفهوم الإسلامي والرؤيا الإسلامية للوسطية لا تقوم على تمجيد الإنسان أوتحقيره بل تقوم في الأساس على أنه سيد في الكون وليس سيد الكون. أما الملمح الثالث من ملامح الوسطية الجامعة فهو أن مصدر المعرفة الإسلامية هو الكتاب الكون والوحي، وأدواتها هي الحواس والعقل وعالم الغيب، كما أن الوسطية الجامعة تجمع بين العقل والنقل، وأن العقلانية في الإسلام ما هي إلا عقلانية مؤمنة).

2. إن اختلاف أفهام الناس، ودخول السياسة والمصالح في تفكير الناس أدى لمجموعة مختلفة من مناهج التفكير (3 مناهج هي: عقلي متجدد أو نقلي غير نقدي ماضوي، وحديثا المتطرف الماضوي).
3. سببت صدمة تخلف الأمة مقابل صحوة الغرب بعد أكثر من 400 عام من سُبات فكري وفقهي تحت الحكم العثماني سببت نشوء عدة تيارات فكرية منها ما نهل من النبع الإسلامي ومنها ما دمج، ومنها ما ارتبط بالغرب كليا دون مرجعية حضارية إسلامية.

نعيش اليوم بين مجموعة من التيارات الفكرية الاسلاموية الكبرى أشهرها الاخوانية والسلفية والتقليدية، ومن (ذات البيئة) وتأسيسا على ما مضى من تاريخ حصل التلاقي بين (الحركة) و(الفكرة الماضوية) و (البيئة الراعية) لينشأ فكر التطرف والتكفير على قاعدة فاسدة في تفسيرها بعقلهم هي ما يدعونه من إقامة شرع الله وإعلاء شأن الاسلام وإعلان الإمارة (الخلافة) الاسلامية التي أصبحت ركنا أساسيا (دينيا) في خطاب الحركات الاسلاموية الحديثة.

تقسيم التيارات

وفي عُجالة يمكننا النظر للأفكار الثلاثة الحديثة المذكورة لنوضح أن الفكر الاخواني باعتباره في دائرة النظر رغم أنه احتكاري إقصائي للآخر وتنزيهي تقديسي للذات، إلا أنه لا يمكن اعتباره متطرفا كليا أو وسطيا أو متهاونا بل يمتلك تيارات عديدة أشهرها ثلاثة برأينا هي: التيار الرسمي والوسطي، والتيار المتطرف المرتبط بسيد قطب، والتيار التجديدي وفي غالبه من المنشقين أو المستنكفين.

وكذلك الأمر يمكننا النظر للفكر السلفي الماضوي الذي ينقسم أيضا بشكل محدد الى 3 اتجاهات: التيار السلفي التقليدي (مع ولي الأمر وضد الفتنة وضد الحزبية)، والتيار السلفي الحركي (يسمح بتشكيل أحزاب وتنظيمات)، والتيار السلفي المتطرف (ما دعي لاحقا السلفية الجهادية وأشهرها اليوم القاعدة وداعش)، ومن هنا بإمكاننا أخذ شعاع

من كل من التيار السلفي الماضوي و الاخواني المتطرف والمرتبط بالبيئة الخصبة لنقول أن المسلمين ارهابيين أو متطرفين بالحكم الغربي الجغرافي.

كما يمكننا النظر من زاوية التيار التقليدي في الاخوان والسلفي التقليدي، والبيئة المتسامحة لنطلق على المسلمين (وعلى الاسلام) صفة التسامح والاعتدال والوسطية، وفي كل التوصيفين لنا من التاريخ والأحاديث والآيات كثير من السند.

ما نريد التأكيد عليه هو أن الدين الاسلامي كدين برئ من أي تهمة لا نكلف أنفسنا عناء الدفاع عنه، فمن ضلّ فعليه ضلاله، ومَن اهتدى فلنفسه لا يمن على الله بشيء، وإنما اختلاف الأفهام والمناهج والمدارس هي التي تعكس نظرات الآخرين لأحوالنا.

ومن هنا نعيد أننا ننزه الدين الاسلامي عن أي توصيف محدود لم يوصف نفسه به على لسان القرآن الكريم أوالرسول عليه السلام.

والثابت الآخر هو: نعم يوجد في الأمة الاسلامية والمجتمعات الاسلامية والحركات الاسلاموية جماعات نهضوية تجديدية، مقابل جماعات ماضوية تقديسية فيهما المتطرف غربا أو شرقا.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب:71) يقول الشيخ راتب النابلسي في شرحه الآية الكريمة: (سماه الله فوزاً عظيماً، أي يكفي أن تكون في طاعة الله، يكفي أنك لا تقترف الزنا، و لا تشرب الخمر، ولم تكن سبباً في إزهاق روح إنسان، يظل المسلم بخير ما لم يسفك دماً، يكفي أن تجتنب الكبائر، و أن تجتنب الصغائر، و أن تكون مطيعاً لله، مطبقاً لمنهجه، متصلاً به، متوجهاً إليه، راجياً رحمته، خائفاً من عذابه، هذه نعمة سماها القرآن فوزاً عظيماً).

الفوز العظيم

يقول د.يوسف الهميلي[1] موضحا طريق الفوز العظيم ب5 خصال، هي ما نراه في مسار الفهم "الوسطي" الانساني -كما أشار له النابلسي وعمارة والجزائري- هي:

1 – الإيمان: وقد ذُكِر بأنّه من صفات الفائزين في ستَّة (6) مواضِعَ من القرآن الكريم.

2 – الجهاد: بالمال وبالنَّفس، وقد ذُكر في ثلاثة (3) مواضع.[2]

3 – التَّقوى: وقد ذُكِرتْ في موضعين.

4 – طاعة الله ورسولِه.

5 – العمل الصالح: ومنه الصِّدق على وَجْه الخصوص.

---

(1) رابط الموضوع على شبكة الألوكة الاسلامية:

http://www.alukah.net/sharia/0/38180/#ixzz3Gwy4PY8v

(2)قسّم الراغب الأصفهاني (502هـ/ 1108م) «الجهاد إلى ثلاثة أضرب:

1- مجاهدة العدو الظاهر. 2- مجاهدة الشيطان. 3-مجاهدة النفس.

وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ (الحج:78)، ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة:41)، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ (الأنفال:72)، وقال الأصفهاني [: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم، وجاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم»(3).

ويقول د.محمد عمارة «إن الجهاد الإسلامي ليس هو ما نطلق عليه – ببساطة – مصطلح الحرب المقدسة، فالجهاد «هو كل سعي مبذول وكل اجتهاد مقبول، وكل تثبيت للإسلام في أنفسنا، حتى يتمكن في هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومي المتجدد أبداً ضد القوى الأمارة بالسوء في أنفسنا وفي البيئة المحيطة بنا عالمياً، فالجهاد هو المنبع الذي لا ينقص، والذي ينهل منه المسلم ويستمد الطاقة التي تؤهله لتحمل مسؤوليته، خاضعاً لإرادة الله عن وعي ويقين.. إن الجهاد بمثابة التأهب اليقظ الدائم للأمة الإسلامية، للدفاع بردع كافة القوى المعادية التي تقف في وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعي إسلامي في ديار الإسلام» .

أرى الآن ان الوسطية والفكر الاسلامي الوسطي هو فكري وفكر من يرغب بالطريقة التي أعرّف بها الوسطية التعددية الشورورية أن يكون في ربقة المؤمنين معي، فأطن اننا من الفائزين الذين قال بهم الله تعالي: (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ، عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (هود-11)

إفادة: الامام محمد أبو زهرة يورد في خطبة له قائلا: قال علي بن أبي طالب عندما وجه ابن عباس الى الخوارج (لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون) وقال في مكان آخر (القرآن كتاب مسطور ينطق به الرجال) ما هو في حقيقته اعتراف بتداخل العوامل الذاتية في فهم النص القرآني.

كانت مشكلة الخوارج خطأ في تشخيص الواقع، وقصورا في التفكير، وتسطيحا في الوعي ولذلك أطلق علي بن أبي طالب (رض) عبارته المشهورة (لا تقتلوا الخوارج من بعدي، فليس من أراد الحق فأخطأه كمن أراد الباطل فأصابه) وكيف لا وهو من اعتبر ان الخوارج (من الشرك فروا).

يقول د. قاسم شعيب في (تحرير العقل الاسلامي) (عبادة الاشخاص وتقديسهم هي الأشياء التي انتجت العقلية الطائفية المذهبية وهي المسئولة عن تكريسها).

(ان العقلية المغلقة ترفض أن يكون للآخر ولو بعض الحق مما يعني أنها ترفض أن تكون الحقيقة مشروطة بشروط الانسان الثقافية والتاريخية...).

(إن الدين التوحيدي وليس الدين السلطوي هو ما يمنح الانسان محبة الآخرين والتضحية من أجلهم وخدمة مصالحهم وقد استطاع الإسلام ذلك من خلال توسيعه لمفهوم المصلحة فبين ان مصلحة الانسان لا تنحصر في المصلحة المادية الدنيوية بل هناك أيضا المصلحة المعنوية حيث تقدير الآخرين واحترامهم) اضافة لرضا الذات والجائزة الأخروية.

نموذج للاختلاف بين فكرتين وبيئتين (الوسطية مقابل التشدد الاسلامي)

كيف يجب أن نتعامل مع المسيحيين؟

تعقيب الشيخ بن باز على مقالة الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر بعنوان: علاقة الإسلام بالأديان الأخرى: من عبد العزيز بن عبد الله بن باز[1] إلى حضرة الأخ سماحة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر وفقه الله للخير، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد اطلعت على مقالة لسماحتكم نشرتها صحيفة الجزيرة السعودية في عددها الصادر في يوم الجمعة 16/ 5/ 1415هـ بعنوان: "علاقة الإسلام بالأديان الأخرى" ورد في أولها من كلامكم ما نصه:

(الإسلام يحرص على أن يكون أساس علاقاته مع الأديان والشعوب الأخرى هو السلام العام والود والتعاون؛ لأن الإنسان عموماً في نظر الإسلام هو مخلوق عزيز كرمه الله تعالى وفضله على كثير من خلقه، يدل لهذا قول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾، والتكريم الإلهي للإنسان بخلقه وتفضيله على غيره يعد رباطاً سامياً يشد المسلمين إلى غيرهم من بني الإنسان، فإذا سمعوا بعد ذلك قول الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾، أصبح واجباً عليهم أن يقيموا علاقات المودة والمحبة مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، والشعوب غير المسلمة، نزولاً عند هذه الأخوة الإنسانية، وهذا هو معنى التعارف الوارد في الآية..) الخ.

ولقد كدرني كثيراً ما تضمنته هذه الجمل من المعاني المخالفة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ورأيت من النصح لسماحتكم التنبيه على ذلك: فإنه لا يخفى على سماحتكم أن الله سبحانه قد أوجب على المؤمنين بغض الكفار، ومعاداتهم، وعدم مودتهم وموالاتهم، كما في قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ

(1) هذا موقع الشيخ بن باز الرسمي http://www.binbaz.org.sa/mat/8591

بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [3]، وقال سبحانه في سورة آل عمران: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾، وقال سبحانه في سورة الممتحنة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣﴾ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ الآية.

فهذه الآيات الكريمات وما جاء في معناها من الآيات الأخرى كلها تدل على وجوب بغض الكفار، ومعاداتهم، وقطع المودة بينهم وبين المؤمنين حتى يؤمنوا بالله وحده، أما التعارف الذي دلت عليه آية الحجرات فلا يلزم منه المودة ولا المحبة للكفار، وإنما تدل الآية أن الله جعل بني آدم شعوباً وقبائل؛ ليتعارفوا، فيتمكنوا من المعاملات الجائزة بينهم شرعاً كالبيع والشراء، وتبادل السفراء، وأخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس، وغير ذلك من العلاقات التي لا يترتب عليها مودة ولا محبة.

وهكذا تكريم الله سبحانه لبني آدم لا يدل على جواز إقامة علاقة المودة والمحبة بين المسلم والكافر، وإنما يدل ذلك على أن جنس بني آدم قد فضله الله على كثير من خلقه.

فلا يجوز أن يستنبط من الآيتين ما يخالف الآيات المحكمات المتقدمة وغيرها الدالة على وجوب بغض الكفار في الله ومعاداتهم، وتحريم مودتهم وموالاتهم؛ لما بينهم وبين المسلمين من البون العظيم في الدين.

والواجب على أهل العلم تفسير القرآن بما يصدق بعضه بعضاً، وتفسير المشتبه بالمحكم، كما قال الله جل وعلا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ ﴾ الآية، مع أن الحكم بحمد الله في الآيات المحكمات المذكورة وغيرها واضح لا شبهة فيه، والآيتان اللتان في التعارف والتكريم، ليس فيهما ما يخالف ذلك.

وقد ورد في المقال أيضاً ما نصه: (فنظرة المسلمين إذن إلى غيرهم من أتباع اليهودية والنصرانية هي نظرة الشريك إلى شركائه في الإيمان بالله والعمل بالرسالة الإلهية التي لا تختلف في أصولها العامة).

وهذا - كما لا يخفى على سماحتكم - حكم مخالف للنصوص الصريحة في دعوة أهل الكتاب وغيرهم إلى الإيمان بالله ورسوله، وتسمية من لم يستجب منهم لهذه الدعوة كفاراً.

ومن المعلوم أن جميع الشرائع التي جاءت بها الأنبياء قد نسخت بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز لأحد من الناس أن يعمل بغير الشريعة التي جاء بها القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾، وقال سبحانه:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الآية، وقال عن اليهود والنصارى في سورة التوبة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾ والآيتين بعدها.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، كلها تدل على كفر اليهود والنصارى باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وقول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، وتكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم، وعدم إيمانهم به إلا من هداه الله منهم للإسلام.

وقد روى مسلم في صحيحه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار))، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، والأحاديث الدالة على كفر اليهود والنصارى، وأنهم أعداء لنا كثيرة.

وإباحة الله سبحانه للمسلمين طعام أهل الكتاب ونساءهم المحصنات منهن لا تدل على جواز مودتهم ومحبتهم، كما لا يخفى على كل من تدبر الآيات وأعطى المقام حقه من النظر والعناية.

وبذلك كله يتبين لسماحتكم خطأ ما ورد في المقال من:

1- القول بأن الود والمحبة من أساسيات العلاقة في الإسلام بين الأديان والشعوب.

2- الحكم لأتباع اليهودية والنصرانية بالإيمان بالله والعمل بالرسالة الإلهية التي لا تختلف في أصولها العامة.

وتواصياً بالحق كتبت لسماحتكم هذه الرسالة، راجياً من سماحتكم إعادة النظر في كلامكم في هذين الأمرين، وأن ترجعوا إلى ما دلت عليه النصوص، وتقوموا بتصحيح ما صدر منكم في الكلمة المذكورة براءة للذمة، ونصحاً للأمة، وذلك مما يحمد لكم إن شاء الله، وهو يدل على قوة الإيمان، وإيثار الحق على غيره متى ظهرت أدلته.

والله المسئول بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا وإياكم وسائر علماء المسلمين لمعرفة الحق واتباعه، وأن يمن علينا جميعاً بالنصح له ولعباده، وأن يجعلنا جميعاً من الهداة المهتدين، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.
(انتهى نص بن باز: في موقعه الرسمي على الشابكة).

خاتمة

ونختم بالقول أن الاعتدال والوسطية والتسامح هي قيم حض الله عليها الإنسان ليتبعها مع أخيه الانسان وفي المجتمع، مع مجموعة (منظومة) من الأخلاق والتأملات والتفكرات الواردة في الكتاب والمطلوب اتباعها، وهي كذلك موجهة للإنسان لأن الدين هو "الحق" وهو "الهدى"، والحق واجب الإتباع.

ولكن الوعاء والوسيلة والأداة المنفذة لتعاليم الدين (أي الإنسان العاقل) ما كان على هذا الانسان بعد الإيمان، أن يتبع القوة والجبر والقسر والعدوان على الآخرين، وإنما كان عليه فريضة التفكر والتخيّر (اختيار الوسيلة الأكرم والأمثل والاوقع تأثيرا) وتأدية فريضة الدعوة للخير بالوسائل الثلاثة التي حددها بوضوح رسولنا الكريم في حديثه الموصوف بتغيير المنكر (يده، لسانه، قلبه).

ومن هنا فإن الاعتماد هو: على مدى قدرة الإنسان على 1-تمثل وتشرب وتفهّم تعاليم القرآن الكريم والدين-والأديان عامة مبتغاها التوحيد لتحقيق التحرر- و2-حُسن نقلها للآخرين ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف19) ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه 44)[1] ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل 125).

وصدق القائل[2] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (الفتح-28)

---

(1)"وليتلطف" جاءت في أهل الكهف، أما "فقولا له" فكان الأمر الرباني للنبي موسى وهارون في كيفية مواجهة فرعون باللين أولا رغم ظلمه البين.

(2) أنظر جمال التفسير لابن كثير للآية، ولكلمتي الهدى والحق إذ يقول في الهدى أنه العلم والحق هو العمل، ويقول د.محمد راتب النابلسي عن الحق هو الثابت والباطل هو الزائل.

الفصل الرابع

"غزوة باريس المباركة" والتداعيات

الفصل الرابع

"غزوة باريس المباركة" والتداعيات[1]

شغل العالم في الآونة الأخيرة بالاعتداءات الإرهابية التي عصفت بمدينة باريس في فرنسا إذ ضربت سبع عمليات مختلفة بالباريسيين لتؤدي الى مقتل 129 شخصا، ولم يكن المتهم مجهولا، إذ سرعان ما أعلنت (الدولة الاسلامية) أو تنظيم "داعش" مسؤوليتها عن الارهاب....فما الذي حصل؟

لماذا اليوم ولماذا فرنسا؟ وهل تكسب "داعش" من أعمالها الإرهابية (التي تسميها جهادية) الخارجة عن أماكن سيطرتها الرئيسة في العراق وسوريا وأماكن أخرى؟ وهل هناك من صراعات عالمية واقليمية أو داخلية لدى تنظيمات الأرهاب أسهمت أو عجّلت بذلك؟ وفي سؤال آخر لماذا هذا العنف؟ وما هي أسبابه؟ ولربما نجيب معا على شكل العمل أو الاستراتيجية المتبعة لـ"داعش" وهي تلك المرتبطة بالنشوء والتكون؟ وقد نعرج على الاستغلال الاسرائيلي للأحداث كما هي عادة السياسة الصهيونية.

لماذا الآن؟ وهو سؤال مهم فعلا نستطيع جوابا عليه القول إن تنظيم "الدولة الاسلامية – داعش" يعيش بالحقيقة في ظل حالة الحصار وهي التي تولد لديه خوف شديد يؤدي به ليس للشلل بل للتقدم والتعويض، فالخوف عند الانسان قد يشل العمل ويربك الأقدام ولكنه عند البعض الآخر قد يؤدي للقيام بأعمال إجرامية في محاولة لاستعادة الأمان المفقود والتفلت من حالة الحصار، مقرونا مع محاولة اثبات الذات خاصة أمام الأتباع والتحايل على حالة الحصار بإظهار القوة.

---

(1) نشرت كدراسة في المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية تحت عنوان (تداعيات استراتيجية »داعش« لغزو أوربا والاستغلال الاسرائيلي للأحداث)، وكانت مثار جدل على إذاعة اجيال الفلسطينية عام 2015 كما كانت مثار نقاش في قناة فلسطين.

الفكر الداعشي يعاني من حصار فكري اسلامي مستنير في العالم الاسلامي بل في العالم كله، كما يعاني من حصار فضائي الكتروني ناهيك عن الحصار الميداني المرتبط بالضربات الموجعة، وهذا ليس شيئا بسيطا لمن البناء لديهم يستند للبناء العقدي في جزء كبير منه، مع حالة الإبهار والخرافة، وحيث-كمثال ميداني- تحقق نجاح مراكز إعادة التأهيل لأصحاب الفكر السلفي-الجهادي في السعودية ونجاح في المحاججة الفقهية، وإعادة الكثيرين الى جادة الصواب (نموذج مركز محمد بن نايف للمناصحة والرعاية، ونموذج مركز صواب في دولة الإمارات العربية المتحدة).

خوف واحباط وتخلي

إن الخوف لدى التنظيم المتشدد ينبع من حالة الحصار الالكتروني لمواقعهم و اتصالاتهم وشبكاتهم وفكرهم المتطرف، إضافة لحصارهم على الأرض عبر الضربات الجوية و الميدانية الموجعة، وتقهقر "داعش" عن بعض مناطق نفوذها في العراق و سوريا.

إذن فالتنظيم بالحقيقة واقع في أزمة كبيرة وخطيرة نتيجة كل ما سبق، دون أن ننسى أن تأثير الضربات الجوية يشمل خطوط الامدادات الاقتصادية وخاصة على خطوط وآبار تهريب النفط، وحركة (المجاهدين) (المهاجرين) اليهم من خارج مناطق الصراع، ومن الممكن أن نقول أيضا أنه الآن كان عليهم في هكذا وضع-حسب فكرهم وتعبئتهم- التوجه للضرب خارجيا تعويضا أوانتقاما لشعورهم العارم بالأحباط حيث يتراقص أمام أعينهم شبح فشل المشروع = دولة الخلافة.....

ويعانون من الخوف ومن الإحباط من قسوة الداعمين و الممولين و خداعهم أو انسحابهم من الدعم وهم أولئك المرتبطين أو الممثلين لدوائر ودول إقليمية وغربية بوضوح.

أما السبب الثالث لـ"غزوهم" الغرب عبر الضرب في عمق أوربا فهو راجع لحالة التراجع في الاستقطاب البشري و التدافعات بين الفصائل الاسلاموية المتطرفة المتحاربة خاصة في الشام.

وقد نتساءل معا هل أن الحصار و الخوف و الشعور بالإحباط من فشل المشروع ومن الداعمين الاقليميين و الغربيين، و تراجع الاستقطاب والتجنيد يكفي وحده ليبرر التوجه للضرب بالخارج بمثل هذه الشدة؟ نقول أن تفسير هذا الأمر يستدعي منا النظر في المكاسب الممكن أن يحققها الداعشيون مما فعلوا؟ فهل هم فعلوا ذلك كالقط الذي حوصر فبدأ يخرمش؟ أم هم مثل الذئب الذي يترقب ضعف ضحاياه فيضربهم في الخاصرة الرخوة فيتوجعون؟

مكاسب "داعش" وبشار

إن مكاسب الإرهابيين و على رأسهم تنظيم "داعش" باعتقادي كثيرة، فليس الكاسب الأول من (غزوة باريس) كما يظن البعض هو نظام بشار الأسد الاستبدادي فقط ولا النظام الروسي الذي فكفك الحصار الغربي من حوله فاستفاد نعم، و لا أمريكا فقط بتأكيد الحاجة الدائمة لها وتكريس مصالحها في ظل رعايتها للفوضى "الخلاقة"، ليس هؤلاء هم الرابح الأول أو الأوحد (تعاملت الولايات المتحدة مع دول اقليمية أخرى على رأسها إيران وبعض دول الخليج مع بزوغ نجم "داعش" وتنظيمات الارهاب بشكل انتهازي وتسخيري، فإما دعموها أو سهلوا لها العمل أوغضوا الطرف عنها)، إن الرابح الأكبر هو تنظيم "داعش" استنادا لأهدافه حيث أراد التنظيم المحكم ذو العقلية الاستراتيجية التالي:

1-أن يعلن في قنبلة إعلانية دعائية عن ولادة التنظيم الأول القادر على الوصول لمراكز القرار في العالم االغربي فيسجل انتصارا جديدا، وهو يعيش على الانتصارات (وان كانت موهومة) ويعيش على الأساطير وهي كثيرة.

2-وأراد بهذه الضربة القوية في (دار الكفر) أن يوضح بالنار أن مستوى الايذاء الذي يتعرضون له في العراق و الشام لم (ولن) يستطع أن يلغيهم، فيقولون بصرخات متتابعة "نحن هنا" على جثث الأبرياء، تماما كما تفعل (اسرائيل) بارتكابها المجازر اليومية في فلسطين.

3-ان إظهار القوة و النصر و الزهو، ورسم أسطورة (تسقط بمثل هذا الفعل أسطورة القاعدة وترسّم داعش مكانها، مقابل غزوة نيويورك تبرز غزوة باريس) لا يخلو من قيامهم بتسليم رسالة للمعسكر الغربي ذات طابع تقريعي عنيف على اعتداءاته التاريخية على (دار الاسلام)، وأيضا في محاولة لاستجلاب (حملة صليبية) أو كشفها للمجندين المحتملين، فهم بهذه الرسالة التلبيسية يضعون الغرب أمام معضلة الرد على التنظيم في أراضيهم في أوربا أي بالتضييق على المسلمين في أوربا، أو الرد بالهجوم البري على (دار الاسلام) و (مركز الخلافة) وفي الحالتين يقع الغرب في مصيدة (حرب صليبية) هي مطلب ومبرر التنظير الدائم لدى قيادة التنظيم الموجهة لجهلاء الأمة حيث لا يغفل التنظيم أبدا عن ضرورة زيادة عدد المنتمين له، وهذا يحتاج لتواصل التحريض فالاستقطاب والتجنيد الجديد ما يقتضي انقياد مرتبط بفكرة ورموز ونصر، حيث ينتعش في هذه الحالة العقل السلفي- الجهادي المليء بالأساطير (ومثله لدى المتطرفين في المسيحية و اليهودية والهندوسية اليوم أمثال و أشباه كثيرة)

يقول الكاتب (ورينزو فيدينو) في كتابه 'المجاهدون الأوروبيون في سوريا' (أكتوبر 2014) حول طبيعة العقلية ومدى التأثر للأشخاص بقدرات الاستقطاب والتجنيد لدى "داعش من مقابلاته: ((يتحدث الكثير من المقاتلين الأجانب في المقابلات الشخصية وعلى مواقع التواصل الاجتماعي عن شعورهم بالإحباط تجاه عدم الاكترات بالمسلمين، وتجاهل المجتمع الدولي للأزمة السورية، وعن رغبتهم في الدفاع عن إخوانهم المسلمين وتخليصهم من المصير الظالم. بل يرى كثير منهم أنه مما لا شك فيه أن مشاركتهم في الصراع بادرة نبيلة وإيثار يهدف إلى إنقاذ النساء والأطفال الأبرياء.))

4- كما ان خطاب (المظلومية الاسلامية) أو خطاب المؤامرة العالمية على "دار الاسلام" وأصحاب مدرسة الفسطاطين ودار الحرب مقابل دار السلام، وإما

نحن وإما هم التي يشتركون فيها مع غالب التنظيمات الإسلاموية الأخرى حتى تلك الموصوفة بالمعتدلة،(أنظر تحالف الاخوان المسلمين مع التنظيمات الارهابية الاسلاموية فترة حكم محمد مرسي في مصر وما خلفته لاحقا) يحتاجون فيها دوما للتمدد واثبات الذات بالاستقطاب الجديد و البيعة، ولااستقطاب أو بيعة للعامة إن تراجع الرمز أو الأسطورة أو خبا نجم (الدولة الاسلامية) المنتصرة، و التي مكن الله لها في الأرض.

5-عقلية النصر أو استجلاب النصر تفترض و تحث على (جهاد الطلب) وما يرتبط به بقتال الكفار (كافة) (كما يقاتلونكم كافة) وغزوهم في عقر دارهم، و (أرهابهم="ترهبون به عدو الله وعدوكم"، واللفظة أي الإرهاب مستخدمة عندهم بمنطق أيجابي استنادا لفهم مغلوط للآية القرآنية) وسلبهم، إذ ان عقلية "الغزو و السلب" متلازمتين في الفكر الجاهلي المتطرف.

6- لنضف الى ما سبق عاملا آخر إذ أن (داعش) بانتقاله من ضرب "العدو القريب" الى استهداف "العدو البعيد" يقوم بإجراء وقائي حيث الحفاظ على المنجزات على الأرض (أرض الاسلام ودارالخلافة...أو مناطق هيمنة وسيطرة البعثيين، أو هيمنة السنة...) يستدعي عمليات وقائية أحيانا تربك الأخر أي العدو، وتعطي "داعش" فسحة من الوقت ليعيد ترتيب أوراقه الداخلية والخارجية، وتبث الأمل وروح الإقدام لدى العناصر المنتمية.

7- أن مثل ضربات باريس (المباركة)-وربما ما سيعقبها- توفر للتنظيم الناهد نحو زعامة العالم الاسلامي أيضا مجال اختبار عملي لقوة عناصر تنظيمه وشبكاته في العالم في امتحان لا بد منه لجموع خلاياه المنتشرة في كل مكان، وخاصة في خط فرنسا-بلجيكا-ألمانيا.

من كل ما سبق يمكن أن نلخص: إن التنظيم يحاول بالتوجه نحو مقارعة (العدو البعيد) ان يكسب عدة نقاط الأولى هي إعلان انطلاقة عالمية للأسطورة وبقوة و إبهار، وثانيا استدراج للمعسكر الغربي (الصليبي) في مصيدة وحرب، وثالثا يحقق تجنيد

واستقطابات بشرية جديدة، ورابعا يحقق تكريس المبادئ "العقدية" وضرورتها (جهاد الطلب) وغزو عقر دار الكفار وتحقيق الانتصارات، أما خامسا فتأتي العمليات الارهابية هذه كإنذار للغرب أن يبتعد عن (أراضيهم) وكعمل استباقي أو وقائي لمحاولة صيانة ما امتلك من أرض ومقدرات ونفوذ، وبذات الوقت اختبار للخلايا الجديدة التي انضمت او استقطبت في محطات الخارج.

في نشأة "داعش" والتساهل

إن النظر لـ"داعش" من زاوية استراتيجية ذات طابع اقليمي وعالمي، لا يغني عن النظر أيضا في داخل هذا التنظيم و التنظيمات المشابهة و أبرزها "القاعدة" التي تمثل الخطر الداخلي الأكبر على "داعش".

ان تنظيم "الدولة الاسلامية" بدءا من نشأته في العراق، فالعراق والشام ثم عبر العالم، قد تشكل على قاعدة الدعم و الرعاية أو التساهل و التغاضي والتسهيل للحركة من عدد من دول الإقليم المستفيدة من وجوده، ومن الراعي الأكبر الولايات المتحدة الامريكية الذي لسان حاله قال ما دامت المصالح الاقتصادية ومصالح الهيمنة و السيطرة متحققه فما المانع (بل من الضروري) أن تكون الفوضى في المنطقة أكبر و أكثر وأعمق، وبناء على هذا (المناخ) أو (المساحة) المريحة حصل التقارب بين المتضادين على الأرض، حصل التقارب بين المتضررين سواء من الارهاب (الشيعي السلطوي السياسي) الحاكم في العراق المدعوم خارجيا، وبين المتضررين من الإرهاب والاستبداد من نظام الطاغية الأسد، مع أولئك المؤمنين بضرورة "الجهاد" ضد الكفار و "الرافضة" (الرافضة مصطلح مضلل يطلقونه على الشيعة عامة، كما المتطرفين بالطرف الآخر يسمون السُنّة عامة بالنواصب) فكان أن تقاطعت الأهداف و المصالح وخاصة منذ العام 2011، وبتحديد أكبر تشكلت "داعش" كتحالف بين 3 مكونات: الأول وهم قيادة حزب البعث(العراقي) وضباطه، مع مدرسة الفكر الجهادي (القتالي) السلفي، ومع الجماعات غير المؤدلجة (بعض من الجماعات والجماهير التي تبغي رفع الظلم والاستبداد والحرية) ولكنها المتأثرة

مباشرة بظلم النظامين الجارين، فنشأت (داعش) التي ما زال يحكمها قادة البعث ميدانيا و في الاستراتيجات العسكرية و الأمنية وحتى التنظيمية، وفق ما اشارت له مختلف التقارير العربية و الغربية.

بين "داعش" وخطر "القاعدة"

إن تنظيم (داعش) بهذه العقلية وهذا التكوين لا يشكل أمامه – وخاصة بعد انتصارات مدينة الرقة والموصل– تحديا داخليا كبيرا الا تنظيم (القاعدة) بزعامة (الرمز) أسامة الظواهري، ولكن في الاستطراد لا يغيب عن البال إنحسار مساحة الحركة لتنظيم القاعدة سواء في أفغانستان أو سوريا (رغم انتصارات مدينة الرستن مؤخرا ضمن "جيش الفتح" الذي ضم "النصرة" فرع القاعدة في سوريا) أو في الغرب ما دعى أيمن الظواهري لأن يخرج معلنا وجوده عبر تسجيل صوتي بعد أن كاد الستار يسدل عليه و يعتبر حدثا مضى و انقضى.

بوضوح فان شعور (داعش) بالخطر عامة، و من (القاعدة) هو شعور له ما يبرره على الأرض حيث تمد(النصرة) بيدها للتنظيمات الاسلاموية الأخرى في سوريا وتتقدم، بينما يرفض "داعش" الا (البيعة للخليفة).

الشعور بالخوف من عودة تنظيم "القاعدة" أو استرجاعها قواعدها تعمّق لدى "داعش"مؤخرا من خلال 5 مظاهر الأول أفزعهم في خطاب الظواهري الأخير أنه طالب بضرب "العدو البعيد" بقوة (فهل استبقته داعش أم نفذت ما يقول).

كما قامت "داعش" قبل ذلك -بخطوة استباقية- بالتمدد في افغانستان كمحطة لاحقة أمنة (جماعة سعيد خان) حال تعرضت للضغط الشديد في العراق والشام، أما ثالثا فلقد أزعج جماعة ابو بكر البغدادي (خليفة المسلمين) و (امير المؤمنين) أن "يبايع" أمير "القاعدة" أيمن الظواهري (الملا منصور) قائد تنظيم طالبان الجديد، في تحدي رأوه صارخا ل"دار الخلافة" في الموصل.

ورابعا يمكننا أن نرى الأجنحة المتصارعة داخل الفصيل ذاته بتكوينه غير المنسجم الذي ذكرناه والذي يضم المؤدلجين سواء البعثيين (الذين التحوا) أو جماعة القتالية السلفية، أو غير المؤدلجين من وقود الحرب الذين هم عامة الناس المنتمين لهم (أو المهابيل برأي "القاعدة" فيهم الذين لا يفرقون بين القرآن وبين أشعار عمر الخيام) في العراق وسوريا والقادمين من الخارج المؤمنين بالخرافة والأسطورة والرمزية على أنها قاعدة دينية وعلى رأسهم أولئك القادمين من وسط أسيا وأروبا وشمال افريقيا والخليج.(وصل عدد المقاتلين الأجانب في "داعش" 25 الف مقابل 10 آلاف فقط كانت حصيلة الأجانب في تنظيم "القاعدة" بعشر سنوات) وهذه التركيبة المربكة تدعم مركزية البناء التنظيمي (فكر سلفي-قتالي) وشدة السيطرة الوحشية والأمنية داخل التنظيم (عقلية البعثيين) التي تتغذى بالطاعة العمياء (البيعة) و"نصرة الاسلام" والانتصارات، ومع ذلك برزت في "داعش" تيارات استاءت كثيرا من التفرق فعاشت كابوس فُرقة المسلمين، فكانت تنقّل الولاء بين تنظيم اسلاموي وآخر، أو تنشق في صراعها الداخلي المتواصل على الحق والإمارة.

ان هذا الصراع الداخلي يحتاج من عقلية "داعش" لتشديد القبضة، ويحتاج لمزيد من القتل الداخلي ومزيد من الزج بالمخلخلين "المنافقين" فيهم لأداء عمل انتحاري أو تكليفهم بعمليات استباقية تبقى النجم ملتمعا دوما في السماء.

والعامل الخامس بشعور الخطر هو محاولة القاعدة (والنصرة) استعادة مواقعها الميدانية والفكرية والاعلامية لا سيما بعد أن أعادت "القاعدة" إصدار مجلتها (انسبير= الإلهام) الانجليزية والتي حضت فيها على الاغتيالات وتجديد العمليات الخارجية وكسب مقاتلين جدد.

ان هذه المخاطرالقادمة من تنظيم ايمن الظواهري رغم حجمه الحقيقي الذي بدأ يتضاءل مقابل "الدولة الاسلامية" أدى ضمن العوامل الأخرى الى تنفيذ (غزوة باريس المباركة).

نشأة التطرف بالمنطقة

كل ما يحصل اليوم على امتداد رقعة الأمم العربية والإسلامية وفي دار الكفر (الغرب) والذي أدى لنشوء فكر التطرف – الإرهاب العنفي له من العوامل ما أشرنا له في ثنايا الورقة لنعود لحوصلته بالقول انه مرتبط بخمسة عوامل هي (الظلم والاستبداد والتهميش وتقاطع المصالح والفكرة الماضوية الانقطاعية) فلا أحد ينكر المظالم والاستبداد من نظام الأسد ومثله فترة حكم المالكي بالعراق وما قبلها إبان الحكم الامريكي للعراق وبعد غزوها، وبدعم أجهزة وجماعات ومليشيات أجنبية إيرانية، كما لا أحد ينكر مقدار التهميش الذي عاشته الطوائف المختلفة داخل عديد الدول في منطقتنا في ظل أنظمة سادت وأخرى بادت على حساب المواطنة، ومن أجل رفعة الطبقة الحاكمة سواء رفعت لواء القومية او الاسلامية او التقدمية اوغيره إلا انها بالحقيقة كانت تُعلي من المصالح السياسية للطبقة الحاكمة المهيمنة فتوزع الظلم بعدالة وتهمش وترتكب الفظائع.

فكرة العداء التاريخي بين (دار الاسلام) و (دار الكفر) و ثقافة الارتهان الماضوية لعقلية المؤامرة الدائمة (الغزوات الصليبية) شكلت عامل استثارة وتحريض دائم في الثقافة الاسلاموية عامة، عدا عن مقدار الظلم والحقد والاحتقار والقتل الذي تعرض له ملايين العراقيين (ومثلهم في سوريا) من النظام، إما على قاعدة الطائفة أو الانتماء التنظيمي-السلطوي.

السيّد حين يلقى بالشارع

كيف نتصور مئات الآلاف الذين كانوا يتسيدون ويسيطرون ضمن سلطة فاسدة مطلقة في العراق فترة النظام السابق نظام البعث وقد تم قطع رقابهم بقطع عيشهم وأسرهم معا ورميهم بالشارع؟ (قانون اجتثاث البعث في العراق وآثاره العكسية).

أضف لذالك حجم الظلم والاستبداد والاستبعاد تماما فترة الحكم ما بعد صدام- كما كان الحال في الفترة السابقة- مع تبادل في المواقع بين الضحية والجلاد ضمن مكونات الشعب، أليس في ذلك تراكبا على تراكب أدى بالضحية الجديدة المهيمنة سابقا

الى حالة الانكار للواقع والرفض له بانتظار أول فرصة ليتحول الى تذمر طافح وزيادة في معدل الحقد والعنف ما يجر لدى هؤلاء الى الانتقام بأي طريقة؟ (حاول البعثيون في البداية اللجوء لمسمى كتائب البعث ففشلوا ثم للانضمام للطريقة الصوفية النقشبندية كغطاء، الى أن اخترقوا "القاعدة" فـ"الدولة الاسلامية").

ومع الظلم والاستبداد ظهرت عقلية التهميش لدى النظام السياسي العراقي وفي النظام السياسي السوري الذي جعل من الشعب خادما ذليلا للنظام، ليصبح بعدهما في ظل النظام الجديد في العراق ومع تواصل حكم آل الاسد خادما لعائلة الأسد في سوريا، وخادما لطائفة سلطوية-دينية- سياسية في العراق.

لقاء المهمّشين

إن الظلم والاستبداد والتهميش ثلاثية استبعاد وظلم اجتماعي واقتصادي فادح تراكمت مع تعاظم الشعور بفداحة هذا المكون مع التعطش للعودة الى السلطة ثانية، والى حد الرغبة بالانتقام و لتتقاطع المصالح في ظل الفرصة المتاحة بين مكونات "داعش" اليوم، أي بين المظلومين والمهمشين والمستبعدين (سواء عن حق أو باطل) مع أصحاب العقل السلفي- القتالي- القطعي من بقايا الزرقاوي و"المهاجرين" أي المقاتلين الاجانب من عرب وآسيويين وأوربيين، ومع المظلومين من الناس والفئات الأخرى من النظاميين الاستبداديين في المنطقة، وأيضا تلاقى هؤلاء مع عقلية (الفوضى الخلاقة) ل(كوندااليزا رايس) ومع مصالح بعض دول الإقليم التي بينها إيران وتركيا وبعض دول الخليج.

حاجي بكر العقيد السابق في الجيش العراقي الشهير أو باسمه الحقيقي سمير عبد محمد الخليفاوي كما أشار تحقيق موسع لصحيفة (ديرشبيغل) وهو زميل أبوبكر البغدادي في سجن "بوكا" الامريكي في العراق استطاع أن يعقد اتفاقا مع التيارات الأخرى المشكلة للتنظيم، بحيث أنه بعد خروجه من المعتقل عرض قدراته التنظيمية والأمنية والعسكرية المرتبطة بالشراسة والفتك وارتكاب الفظائع بالمخالفين، كما عرض قدرات تنظيمه السابق التدريبية والعلاقات القيّمة التي يحتفظ بها مع القبائل السنّية، وخبراتهم

خاصة في سنوات الحصار للعراق في ابتزاز الأموال والتحكم بالنفط وخطوطه الخارجية وبكيفية السيطرة على الجماهير على "الامير البغدادي" مقابل الامساك بالشؤون الامنية والحربية في التنظيم وهو ما كان حتى اليوم حيث يقود الضباط البعثيون العراقيون السابقون أركان حرب التنظيم.

لا يغيب عن البال التهميش والظلم والإهمال الذي أوقعه النظام الاستبدادي الحاكم في العراق ضد جزء من الشعب بدعاوى الارتباط بشكل أو آخر بالنظام السابق، فهمشت القرى والمدن ذات الطابع السني وقمعت عديد الدعوات السلمية للنهوض والارتباط بالوطن الواحد، كما حملت الجماهير أحمال النظام البعثي السابق وإرهاب الزرقاوي ومن خلفه، ما جعل العداء يبرز بين أشقاء الوطن الواحد على قاعدة طائفية تستفحل في مقابل تلاشي دعوات الدولة المدنية التي تضم كل العراقيين، أفلا يستجيب أمثال هؤلاء أو أكثرهم للدعوات الداعشية؟ أو على الأقل يحصل خضوعهم دون مقاومة للسيطرة الداعشية التي قد لا تختلف عندهم كثيرا عن السطوة الحكومية والتهميش المتعمد؟

"القاعدة" المدعومة عالميا و"داعش"

إن نشوء (القاعدة) كان على قاعدة (جهادية) تم دعمها في إطار دعم الجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفياتي (الشيوعي الكافر) الذي احتل أفغانستان (1978-1988م) من قبل دول الخليج مباشرة وبلا مواربة ومن الإخوان المسلمين والتنظيمات الاسلاموية عامة التي مولت ودعمت الجهاد الأفغاني، (حصل تحالف أسامة بن لادن ود.أيمن الظاهري في إطار الإخواني د.عبدالله عزام)، كما تم دعمهم من الغرب وعلى رأسه أمريكا (المسيحية الكتابية) الى أن حصل الانقلاب الكامل على الغرب إثر تحطم "طالبان" أفغانستان فتبدلت المصالح، و ما كان نشوء (داعش) ليختلف في نظرية إلتقاء المصالح هذه.

إن الدور الغربي والإقليمي في دعم "داعش" كان واضحا لمن يرى بعينين اثنتين، فبدلا من مواجهة الخطر من بدايته ظهر التهوين من هذا الخطر كما ظهر التخاذل الدولي والإنسحاب من المواجهات حتى العام 2014 بينما قامت قوى إقليمية -كما أشرنا- بفتح الطرق او التسهيل للحركة المتطرفة، أو حتى الاستقطاب لأطراف في التيارات المتطرفة ومنها "داعش" تحقيقا لمصالح هذه الدولة أو تلك خاصة في ظل معادلة الصراع التي تحاول امريكا فرضها على المنطقة وكأنها صراع ايراني-عربي أو كأنها صراع طائفي شيعي سني.

جيمس جيفري، وهو السفير الأمريكي السابق في العراق وتركيا، وحالياً زميل متميز في زمالة "فيليب سولونز" في معهد واشنطن منتقدا حالة الاسترخاء الامريكي في مواجهة "داعش" وموضحا مصالح بلاده في اغتصاب العراق يقول في مقال له على موقع معهد واشنطن: ((إن الحفاظ على عراق موحد وموالٍ للولايات المتحدة يصب في المصلحة الحيوية للولايات المتحدة. وفي صلب الحفاظ على هذه المصلحة تكمن حملة أكثر جرأة ضد تنظيم «داعش». وتفترض استراتيجية "الإسقاط والتدمير" التي تتبعها الولايات المتحدة أن الوقت يصب في صالحها ("3 إلى 5 سنوات"، وأحياناً تسمع واشنطن "عقد من الزمن"). بيد، إن الوضع ليس كذلك. فالفشل في التحرك في سوريا أدى إلى بروز تنظيم «الدولة الإسلامية»، ثم تدفق اللاجئين الذي يهدد الاستقرار السياسي للاتحاد الأوروبي، والآن الإعادة الخطيرة لروسيا إلى المنطقة.))

نضيف أيضا أنه كان للنظام السوري ذاته دورا هاما في انشاء تنظيم "داعش" عندما اطلق من سجونه عام 2013 آلاف الارهابيين والمتطرفين عن عمد وعن قصد لا يخفى على عقل بصير. كما هي المعلومات حول العلاقات الواضحة بين نظام الأسد والارهابيين الذين روّعوا العراق قبل "الربيع العربي"، والنظام السوري وهو ذاته الذي احتضن أبوبكر البغدادي كأحد هذه القيادات المتطرفة تلك الفترة، فترة هروبه الى الشام.

الدور الاقليمي ومصالح هذه الدولة هو بإبراز تنظيم (داعش) خطرا حافزا من أجل الحفاظ على نظامها الاستبدادي ووحدتها الداخلية التي تنهج لدى هذا النظام (أو

ذالك) منهج الظلم والاستبداد والوحشية، بمعنى أن توجيه النظر ل"داعش" فقط يحمي النظام المتهالك (مثل نظام الأسد ونظام المالكي...) ويطيل في عمره ويعمي الأنظار عن ممارساته الاستبدادية وعن الظلم الاقتصادي الاجتماعي وعن وحشيته ممارساته الأمنية... تماما كما ظهر اليوم بشار الاسد فرِحا مرِحا بعد "غزوة باريس المباركة" ليثبت أن زوال الارهاب أولا وقبل أي تغيير على سلطانه، وليؤكد سلامة نظامه الاستبدادي وكذلك الأمر مع دول أخرى في الفضاء الاقليمي.

أمريكا ورعاية الإرهاب والطائفية

ان الدور الامريكي في نشوء "داعش" الذي كتب عنه الكثيرون هو فيما لا شك فيه دور حقيقي مباشر وغير مباشر سواء من خلال التسهيل أو التغافل أو تقاطع المصالح، أو الانسحاب المتعمد من المواجهة، أو من خلال الرعاية المباشرة، لأمثال إبراهيم بن عواد البوبدري السامرائي (ابو بكر البغدادي) وأبو محمد الجولاني وأبو محمد العدناني سجناء معتقل "بوكا" الأمريكي في العراق (شبه الكثيرون "سجن بوكا" كمنتجع صيفي كان يتحرك فيه الإرهابيون بحرية، وكان من بينهم البغدادي ذو حظوة عظيمة) أو عبر ما ظهر علنا من آراء ومقترحات مراكز الأبحاث ومنها معهد واشنطن الذي أجهد ذاته في التفتيش عن عدو جديد للعالم بعد نهب العراق وشعبه ونفطه وتشتيته، وبعد تدمير جيشه ومقدرات هذا البلد العظيم فداء لمصالح الأمة الامريكية و(اسرائيل) على قاعدة إعادة تقسيم المنطقة وفق فيروس الطائفية لهز أركان النظم (على سوء كثير منها)، النُظُم الوطنية التي باتت تفكر أو بعضها بالتنمية والتقدم والنهوض، بمعنى ان التقسيم للعالم العربي لدول (وطنية) بدأت الفوائد المرجوة منه تتقلص، وعليه فمن المتاح أن يتم استثارة الغول الديني والطائفي التاريخي وهو ما كان وما اعترفت به (هيلاري كلنتون) عندما اعتبرت ما يحدث استنادا لسياسة أمريكا منذ الثمانينات عندما دعمت حرب الاسلامويين المتطرفين في أفغانستان.

وحول الدور الذي لعبه سجن "بوكا" الامريكي وتحت أعين الامريكان مباشرة كشفت مجلة «ديلي بيست»في تحقيق مطول لها عن دور السجون العراقية إبان حكم نظام البعث وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق في صناعة الروابط بين الجهاديين، ركز التحقيق على سجن بوكا، وطبقًا لتقديرات عسكرية أمريكية؛ فقد استضاف معسكر «بوكا» 1350 من من يسمون أنفسهم الجهاديين، إضافة إلى 15 ألفا من نزلاء آخرين، ورصد التقرير الأمريكي كيف كانت تجري عمليات التجنيد بين صفوف السجناء، والدور المحوري الذي قام به زعيم تنظيم الدولة «أبو بكر البغدادي» في عمليات التجنيد داخل السجن، حين كان عضوا بتنظيم "القاعدة" في العراق. ويسيطر الضباط السابقون على العديد من المواقع في القيادة العليا والوسطى للتنظيمات المسلحة، فوفقا لتحقيق أجرته صحيفة القدس العربي في نوفمبر من العام 2014، فقد أقر ضابط رفيع من الجيش العراقي السابق أنه وعدد من ضباط الجيش السابقين يشرفون على تدريب وحدات تنظيم "الدولة الإسلامية".

الواقع الافتراضي والتعبيرات

يخوض المحلّلون اليوم كثيرا لبيان أسباب العنف والإرهاب المرتبط بالأفكار المتطرفة، رغم ان التطرف (في أي دين أو ملة) قد يجد له متنفسا آخر عبر الواقع الافتراضي أو العزلة الذاتية أو الهجرة او الابتعاد عن المجتمع إلا انه كثيرا ما يجد تعبيراته المادية العنيفة استنادا لمجموعة من الأسباب منها الشعور بتهديد الذات (والفكرة وفهم الفكرة لا ينفصل عند هؤلاء عن الجماعة وعن الشخوص)، كما ويظهر العنف أيضا حال (التحكم) أو سيطرة جماعة تحمل الفكر الاسبدادي أو المتطرف او الاستنثاري على السلطة،(انظر زيادة معدلات العنف من المتطرفين الهندوس في الهند مع تقلد رئيس الوزراء (مودي) المتطرف رئاسة الوزراء هناك وهو المنتمي لحزب هندي متطرف، وانظر لاستغلال فكرة "الجهاد" و"التمكين" (والذين ان مكناهم بالأرض...) من قبل الاسلامويين كيف ارتبطت بالاستبداد والعنف...، وأنظر له في ما سمي "العشرية السوداء" في الجزائر،

وفي عمليات قتل المسلمين لسبب الانتماء لديانتهم وقوميتهم المختلفة في دولة ميانمار في جنوب شرق آسيا).

إن فقدان هذه الجماعات (أو الافراد) لهويتها، وتوهانها بين المختزن والمُعاش على سبيل المثال في التنظيمات الاسلاموية المتطرفة بين الواقع "العلماني الكافر" كما يعتقدونه سواء في الدول العربية أو في الغرب وبين المقدس الذي يجعلهم في حالة صراع دائم مكتوم أو معلن، هذا الصراع قد يستطيعون الخروج منها بالتأقلم أو بالعزلة ولكن في الحالة العنيفة من التعامل يلجأون للإرهاب والعنف تعبيرا عن رفض ذوبان أو فقدان الهوية.

الاغتراب و"الجهاد" والإعلام

إن العيش في حالة اغتراب عن المجتمع المحمّل بالتراكمات والصراع قد يكون سببا من أسباب التطرف ومن أسباب العنف مضافا اليه الإحساس بالتهميش الاجتماعي الذي يشعر فيه الكثيرون من هؤلاء (كتهميش غالب السُنّة في العراق،ومجمل الشعب في سوريا اليوم) وكالشعور بالتهميش الاجتماعي في بعض دول الغرب. (في باريس يقيم 12 مليون منهم 2 مليون مسلم) مضافا لذالك عوامل الفقر والضيق الاقتصادي المترابط مع الجهل والإحساس بالظلم الذي قد يتحول لحرب يخوضها المتطرف أو الجماعة المتطرفة.

يخوض المتطرف أو جماعته حربا و "جهاداً" هي ليست حربا على ذاته الأمارة بالسوء ما هو "جهاد داخلي" (أنظر المفكر الاسلامي فتح الله كولن والمفكر محمد عمارة) وليست حربا على سوء فهمه أو سوء تلقيه وعقله النقلي غير النقدي، أو عدم قدرته على التأقلم أو التأثر أو التغير والتغيير، وهي ليست حربا على الاقل او صراعا للحفاظ على ذاته، وإنما يؤدي مثل هذه الاحساس بالظلم والتهميش والاغتراب وضياع الهوية للنقمة على الآخر ومثل هذه الحالة تحتاج لصاعق تفجير، فالشحنة جاهزة وتريد فقط من يشعلها! وماذا يمكن أن يكون هناك أفضل من وسائل الاعلام وعلى رأسها اليوم وسائل

التواصل الاجتماعي، أو دور العبادة أو الجامعة والمدرسة، أو القدوة من "الدعاة" الموثوقين (في أي دين او طائفة) ليقوموا بعملية الاشغال هذه فتصبح النفوس بانتظار تحولها الى جثث كما حصل في "غزوة باريس المباركة" في 13 / 11/ 2015 على خطى غزوة نيويورك 11-9-2001.

"تحاث" المشاهد ومعارك داعش الاعلامية

إن مشاهد التعذيب في معتقل "غوانتنامو" وفي معتقل أبو غريب العراقي والرسوم المسيئة للرسول وشتم النبي وغيرها من الممارسات التي يطبل ويزمر لها في الإعلام تحفر أخاديدا في العقل (السلفي– القتالي) الكامن لدى الكثير من الاسلامويين.

إن حركة مثل (داعش) لم تهمل الاعلام أبدا ولا معاركها الشرسة على وسائل التواصل الاجتماعي حيث خاضت حربها بكفاءة عبر نشرة (دابق) وعبر آلاف الحسابات في "تويتر وفيسبوك" وفي "يوتيوب" ومشاهد القتل والعنف التي توحي بالقوة والعظمة، وفي عديد المواقع، واستعانت بدُعاة في كل مكان ينظّرون "للخلافة" كما استمدت فكرها المنحرف من قناعات مشلولة ومن أفكار ميته (كما يسميها المفكرمالك بن بني) واعتبرت مشاهد القتل التي تقوم بها والحرق دلالة على القوة والإرهاب على العدو من جهة، ودلالة على الامكانية في رسالة للأنصار أو الاعضاء المحتملين الذين تكمن في عقولهم فكرة الصراع الأبدي بين الكفار والمسلمين بلا هوادة.

أنظركيف تستثمر "داعش" (غزة باريس) لتبرر القتل وتقوم بذات الوقت بخلق الرموز والتحريض للأمة عبر ما يقول عبد الحميد أباعود (أبوعمر البلجيكي) المنسوب له التخطيط لهجمات باريس في مجلة (دابق) التابعة للتنظيم في مقابلة له منشورة في المجلة 21/ 11/ 2015 (ألا ترون ملل الكفر اجتمعت على المسلمين كما تجتمع الوحوش على فريستها) في استعارة واضحة للحديث الشريف (كما يتداعي الأكلة على القصعة) أو بنقل صريح عن وصيته حيث يقول:

((أيها المسلمون؛

يا من تدَّعون أنكم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛

ألا ترون ملل الكفر قد اجتمعت على المسلمين كما تجتمع الوحوش على فريستها؟

ألا ترون القرآن يوطأ، والرسول صلى الله عليه وسلم يُلعن، وأمنا عائشة رضي الله عنها يُنتقص منها؟!

مُزِّق أطفالنا أشلاءً بالقصف في كل مكان، وانتهكت أعراض أخواتنا، ونُهبت أراضينا وثرواتنا، ومع ذلك لا تفعلون شيئاً؟!

كيف تعيشون مع هؤلاء المجرمين، أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، بينما يخوضون الحرب ضد الإسلام والمسلمين؟!)) وكان الشخص ذاته في نفس المقابلة-التي نشرت بعد مذبحة باريس ولكنها كانت قد أجريت قبل عودته لأوربا- قد قال أنه ذاهب لأوربا (لإرهاب الكفار الشانين الحرب ضد الدولة الاسلامية) فبلجيكا (كما تعلم عضوة في التحالف الصليبي الذي يهاجم مسلمي العراق والشام).

في أسباب العنف الناجمة عن فقدان الهوية والشعور بالاغتراب والتهميش الاقتصادي والاجتماعي والفقر والدونية والاعلام المسيء الكثير مما يستنفز المرء، ومما يتم استغلاله باتفاق من قبل الفصائل الاسلاموية وعلى رأسها اليوم "داعش" واخواتها وبناتها، لتعود ثانية لاستقبال جموع المنضمّين الذين تم تدريبهم عسكريا وأمنيا على الشراسة والتشكك بالآخرين مقرونا بالطاعة العمياء للقائد.

"داعش" وأصل تشكيل الفكرة

من الحكمة أن نشير الى مجموعة من الكتب التي كان لها دور بارز في إعادة تشكيل العقل السلفي-القتالي-الانقطاعي في أولها كان كتاب سيد قطب الشهير(معالم في الطريق) الذي صنف المجتمعات الى جاهلية واسلامية، ثم كان كتاب عبد السلام فرج (الفريضة الغائبة) ليقرر وجوب ما يسميه السلفيين (جهاد الطلب) بمعنى مقاتلة (الكفار)

في عقر دارهم فإما دار كفر أو دار سلم، ويوثق المفاهيم القديمة ل(دار الكفر ودار الاسلام)، كما بيّن الفرق بين (العدو القريب) في بلادنا و(العدو البعيد) في بلاد الغرب (الصليبي الكافر) ليأتي الكتاب الأيقونة (الجامع في طلب العلم الشريف) للشيخ فضل (هو سيد إمام عبدالعزيز الشريف منظّر وقائد تنظيم "الجهاد الاسلامي" في افغانستان من أواخر الثمانينات حتى أوائل التسعينات من القرن العشرين) ليتم تكفير "من لم يحكم بما انزل الله" وفي غلو من الفتاوي التي أباحت دماء المسلمين قبل غيرهم، أما كتاب (ادارة التوحش) ذو الطابع الأمني لأبي بكر ناجي فهو الكتاب المتوافق مع الرغبة الأمريكية وسعيها بإحداث الفوضى بالمنطقة والذي يرى أن وجود هذه التيارات يصبح ممكنا على الأرض حيث يأتي مع إزالة الحكم حدوث الفوضى في البلدان ضمن مراحل متتابعة، وبناء عليه ما كتبه أبو مصعب الزرقاوي وغيره ما أصبح امتدادا للنظر النقلي المتطرف غير النقدي للمراحل في فكر ابن تيمة ومحمد بن عبد الوهاب.

المواجهة وتجفيف المستنقع

إن المواجهة لهذه التيارات قد تكون صعبة، لأنها مستقرة البناء الممتد للإرث الاسلاموي التاريخي تنهل منه على إدعاء انه هو الاسلام ذاته، وهو ما تحفل به كتب التراث والتاريخ العربي والاسلامي والمدارس والجامعات والمنابر، وتتقاطع فيه بقراءات اجترارية انقطاعية ثقيلة دون تمحيص ونقد، وتغيير إلا من القلة من المفكرين الاسلاميين المتنورين، وهم في واجهة المُكَفّرين من قبل هذه الجماعات.

إن المواجهة لهذه التيارات لم تكن لتسير وفق منطق الحوار والاستيعاب والتأهيل والنقد والمحاججة، ولم تكن تسير وفق استراتيجية تجفيف المنابع أو (المستنقع) الآسن بإحداث تغييرات ثقافية واقتصادية وتعليمية وإعلامية وفكرية شاملة، لماذا؟ هل لأن الخطر كان غير واضح أو لانه بعيد عني أم ماذا؟ أم ذلك وغيره الذي منه كما ذكرنا تقاطع المصالح فكانت عديد الدول في الإقليم وخارجة تتعامل بمنطق الاستغلال للظاهرة التي تحولت لجرثومة، بل والدعم من كثير من الدول والجماعات تلك التي تدعى أنها

تنهل مع المتطرفين من منبع الإسلام الصافي وما هي بصادقة أبدا، وفي الحد الأدنى كان هناك تساهل الى حد الاسترخاء الأمني حتى وقعت الواقعة وشب التنظيم عن الطوق واصبح (خلافة) ستطيح بالعروش.

إن دوائر المواجهة بمنطق تجفيف المستنقعات من جهة والتغيير في أساليب التعليم ومواده ومناهجه العقلية واجبة الاتباع، وفي الوضع الاقتصادي وطرق الإدارة لفكر الآخرين، تعني أن المواجهة الأمنية والعسكرية على أهميتها ليست كافية لوحدها وتعني أن الدائرة الوطنية يجب أن تتكامل مع الاقليمية والعالمية خاصة بعد سلسلة (الغزوات) التي طالت السعودية والكويت واليمن وليبيا ومصر وباريس وتونس ودول افريقية.

الاسرائيلي و"غزوة باريس"

بلا شك أن الاسرائيلي يحاول دوما ان يستغل أي حدث لمصلحته ويوظفه لسياساته وروايته المضللة، فلا بأس أن يتم تذكير العالم بالاسطوانة المكررة خاصة للصهاينة ولليمين على شاكلة (المحرقة) و(العداء للسامية)، وإن دولة الكيان (دولة يهودية ديمقراطية) تحارب الإرهاب، ولا بأس من المقارنات بين ما يدعونه الإرهاب الفلسطيني وما حصل في أوروبا ليعيد "نتنياهو" – ورفاقه- ويكرر تقديم نفسه كبطل ومحارب ضد الارهاب وضد الشر الممثل في الفلسطيني من جهة، وفي الدولة الاقليمية الراعية له وهي ايران.

إن سياسة نتنياهو المبنية على الحفر في التاريخ واستخدام الأساطير والأكاذيب من جهة، وبالسياسات الميدانية العدوانية والإرهابية وتلك المرتبطة بتحميل الآخرين المسؤولية بالتهم الجاهزة لديه من ما يسميه (العداء للسامية) لا بد أن تقفز للظهور أمام العيان عند كل مفصل فيما يقوله ويفعله او يقولونه عنه، فها هو (سيفر بلو تسكر) في (يديعوت)، و(حاييم شاين و رؤوبين باكو) في صحيفة (اسرائيل اليوم) ينظّرون للرواية الاسرائيلية اليمينية المرتبطة بفكر "نتنياهو" التوراتي المتطرف، وسياساته ف(شاين) يعتبر أنه (لا صلة بين تنامي الارهاب الإسلامي والصراع العربي الاسرائيلي) بمعنى أن احتلال

فلسطين ورفض الاسرائيلي قيام دولة فلسطينية ما كان هو عامل التويتر أو سبب الصراع، أو محرض كفاح أو نضال عربي أو اسلامي ضد المحتلين أبدا، وبالتالي يريد أن يجعل من القضية الفلسطينية خلافا داخليا محدودا يتم إدارته بالعصا والجزرة من قبل الحكومة الاسرائيلية! وهو في اطار تنظيره السخيف هذا يؤكد على أن أرض فلسطين العربية التي يسميها (اسرائيل) لا يجب التنازل عنها، حيث يقول بكل قبح و بجاحة (لا يجب التنازل عن متر واحد في "يهودا والسامرة") والمصطلح المكذوب الأخير هو مصطلح توراتي فاسد تاريخيا للضفة الغربية.

أما زميله (باكو) في الصحيفة المقربة من نتنياهو وهي (اسرائيل اليوم) فيقرر أن (معاناة العالم من الإرهاب العالمي نتيجة دعم الفلسطينيين له)! ما يتفق فيه معه (حاييم شاين) في ذات الصحيفة في 21/ 11/ 2015 حين يدعي أن الخليل (تحولت الى حصن للأصولية الدينية التي يلف نهجها القاتل العالم كله)! في محاولة فاشلة للمقاربة بين الكفاح الفلسطيني وإرهاب "داعش"، متناسيا إرهاب مستوطنيه وجنوده اليومي في الخليل وكامل فلسطين.

وإدعى العميد احتياط "نيتسان نورئيل" أن الفلسطينيين في داخل فلسطين 1948 (تهب رياح "داعش" في صدورهم)؟ مقدرا عددهم بالآلاف، في إشارة للربط واضحة الدلالة والتوقيت، ونظّر (بلو تسكر) ضد ما يسميه (الجناح الفاشي في الاسلام) وكأن فاشية حكومته لا توزع العطاءات والنصائح الإرهابية على كل العالم، ليتقاطع مثل هذا التحريض مع التشدد اليميني الذي يعد (دوف ليشور) من أبرز رجالاته الذي اعتبر "غزوة باريس" عقابا للأوروبيين على (المحرقة).

وهذا الحاخام المتطرف المقيم في مستوطنة (كريات اربع) بالخليل أي "دوف ليئور" يُبرز مع مجموعة كبيرة من الحاخامات الشكل الجديد للهيمنة والعدوانية الاسرائيلية، وهو تحديدا ممن أفتوا بقتل "رابين" وصادق على فتوى الحاخام (اسحاق شابيرا) سيء الصيت بتحليل قتل أطفال العرب، وما زال يقوم بعمله تحت رعاية حكومة "نتنياهو" في مدرسة تأهيل الضباط.

إن استغلال الاسرائيلي للإرهاب الذي أودى بحياة 129 شخصا في باريس يمثل قمة الاستخفاف لعقول الناس، وهو الاستهتار الذي قوبل بالاستنكار الاوروبي وهذا متوقع ولكنه أيضا لقي السخرية من اليسار الاسرائيلي، فعلى سبيل المثال رفضت أسرة صحيفة "هآرتس" الربط بين ما يحصل في فلسطين وبين الإرهاب، إذ اعتبرت أن حوادث الطعن والدهس لها أسباب ثلاثة هي: الاحباط ثم عدم وجود أفق سياسي وثالثا انعدام الأفق الاقتصادي الذي أدى لصعوبة الحياة أمام الفلسطيني، بل أن (سيما كدمون) في صحيفة "يديعوت" قد أوضح/ أوضحت بجلاء بالرد على محاولات الربط بين الفلسطيني والإرهاب العالمي بالقول: أن (الفلسطينيين ليسوا داعش)، وكرر نفس الأمر كل من الكاتب (عاموس هرئيل) حيث أوجز كلامه بالقول أنه (لا مقارنة – كما يقول اليمين – بين هنا والإرهاب الاسلامي في الغرب) لأن [الارهاب] هنا يقوم به (شعب له أهداف سياسية واضحة وقومية).

(حتى الآن لم تكن لدى "اسرائيل" مشكلة مع وجود "داعش" في الجولان، ومن بين كل النيران التي تسللت من سوريا باتجاه "اسرائيل" أثناء الحرب الأهلية الدامية لم تطلق أي رصاصة من قبل مقاتلي "الخلافة الاسلامية) هذا هو الواقع كما نرى مما كتب "أليكس فيشمان" تحت عنوان الأخطبوط الأسود في "يديعوت أحرونوت" حيث التغاضي الاسرائيلي بل الدعم لوجود هذا التنظيم المتطرف، فمن هو الإرهابي ومن هو المتطرف حقا؟.

لقد كسبت (اسرائيل) الكثير من فوضى الإقليم ومن إرهاب داعش تحت نظرها ودعمها المباشر أو غير المباشر ليس أقله زيادة المساعدات العسكرية الامريكية بدعوى أنها السد المنيع أمام الارهاب، وكسبت جزئيا في محاولة الايهام بصلة الفلسطينيين والمسلمين بالإرهاب عبر حظر الشق الشمالي للحركة الاسلامية في فلسطين الداخل، وعبر التلويح بخطوات أحادية في الضفة الغربية والتفلت شبه النهائي من الالتزامات بالقضية الفلسطينية-الاسرائيلية، بل وصل الغرور بنتنياهو الى حد الطلب من (كيري) الاعتراف بالمستوطنات وتبجح بالادعاء أن حدود كيانه هو نهر الأردن والأغوار، عدا عن التخويف الذي بثته حكومته واعلامه في صفوف اليهود الفرنسيين ليهاجروا الى

فلسطين، كما ستكسب (اسرائيل) من توجيه السياحة بعيدا عـن مصـر وسـوريا وتركيـا وحتى تونس وباريس الى منتجعاتها في يافا وتل أبيب.

إن الإستغلال والكسب والتوظيف لمآسي العالم وكأنها نابعة من الفلسطيني بشكل أو بآخر أو من (الاسلام) الحنيف هو ديدن سياسة حكام الدولة الاسرائيلية اليوم، وهـم أنفسهم الذين يتعمدون دوما تذكير العالم (بواجبـه) أمـام (المحرقـة) الفزّاعـة الاسـرائيلية دوما، دون اعتبار لتحول الضحايا الى جناة ما هو حال الاحتلال الصهيوني لبلادنا اليوم الذي يرتكب محرقة أشد، وعليه فإن من لا ينصاع للروايـة الرسميـة الاسـرائيلية، روايـة اليمين الحاكم وبعض اليسار المتهالك المتواطيء يقع تحت مقصلة التهمـة المعاقـب عليهـا قانونيا أي ما يسمونه مكافحة (معاداة السامية) التي أصبحت تعنى (مناصـرة الإرهـاب) أي سياسيات حكومة الاسرائيلي بوضوح.

خاتمة

نلخص بحثنا هذا حول (غزوة باريس المباركة) والتطرف للقول أن مشكلة الارهاب والعنف والتطرف تترابط معا ولها جذور تاريخية في مختلف الحضارات والأفكار والثقافات في العالم كله، ومنها في تاريخنا الذي اعتمد كثيرون منا فيه على فكر (النقل) لا (العقل) الناقد والممحّص الذي يستخدم البيّنة والدليل والتطور الفكري البحثي والعلمي، حيث وقف التطور عند كثير من الاسلامويين خاصة ذوي العقول المغلقة عند حدود مرحلة تاريخية بأدواتها البحثية، وفي ذات الوقت الذي تطور فيه العالم بدأ الاسلامويون بالرجوع للخلف إلا من قلة اعتمدت النور والحوار والعقل وإن كان تطورها يسير بشكل بطئ.

إن (الارهاب) القادم من عمق (التطرف) الفكري والسياسي والثقافي كائن أو وحش يتنفس ويأكل ويشرب فهو يتغذى على التاريخ المليء بالأساطير والأوهام، وعلى ثقافة أو فكر ميت وهو إرهاب أو تطرف يتشرب من الممارسات اليومية والأقاويل والدعوات والخطابات، ومن التحليل المستند لرؤية ماضوية متوقفة منقطعة يحكم فيها على الحاضر، أما الأكسجين للتطرف وأداة الارهاب فهو العنف ضد الآخر (دار الاسلام ودار الكفر) ما يجعل من مخرّص مثل (ميت رومني) مرشح الرئاسة الامريكية السابق يقول أن (العدو يعيش في الاسلام) وفي الحقيقة أنه يعيش فيه هو، وفي كل كائن وليس في الدين أبدا.

ومن هنا تأتي "غزوة باريس المباركة" في الفكر الإرهابي الداعشي لتعلن انتصارا مطلوبا في (دار الحرب) أو الكفر، وعلى المؤامرة الصليبية الكونية على الإسلام كما ينظّرون، ولتعلن أن "العدو والبعيد" أصبح قريبا، ولتضع دول الغرب في مصيدة وحالة مواجهة صعبة وقاسية،ولتقلص مساحة المنطقة الرمادية لدى المسلمين فينحازوا الى معسكر الاسلام، و"الخلافة على منهاج النبوة" التي يظنون أنهم يمثلونها!

الفصل الخامس

في مقاومة "التطرف" في المجتمع

الفصل الخامس

في مقاومة "التطرف" في المجتمع[1]

تمهيد

قال الله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان(. (الرحمن 7-9)

في الآية الكريمة دلالة على العدل والقسط والقانون، ومن المفسرين من اعتبر القرآن الكريم هو الميزان، والميزان هو الناموس الذي يحكم الكون وقد يدل على التوازن البيئي، وعلى ميزان الحق المطلوب لدى الإنسان والجماعات والمجتمع، في قلب المؤمن الذي يستطيع إن أجهد نفسه –لصعوبته الشديدة- إن يحققه بمستوى عالي من وسطية الفكر، بالتقبل والتفهم والتجاور مع الآخر المختلف، فلا تطرف ولا تهاون في سياق وسطية الشهادة وتوازن المكونات الإنسانية ما بين الجسد والنفس والعقل والروح وبالتالي الأفعال ومتطلبات كل منها، لذا فالميزان هو العقل والتفكير في الجوهر والحقيقة كما نرى.

يقول الكاتب ريان[2] الشققي: (وما أكثر الموازين في القرآن الكريم) خاتما مقاله الطويل بالقول (سبحان من جمع الأضداد في الخلق فأحسنه، وسبحان من وضع المتناقضات فسوّى السموات والأرض ثم هدى كل مخلوق إلى وظيفته ومهمته، وسبحان من أوجد الميزان والنواميس والقوانين فأبدع الكون وما فيه.)

---

(1) ألقيت هذه المادة كمحاضرة لأول مرة في مدينة قلقيلية في فلسطين العام 2014 ثم تلاها لقاءات على قناة عودة الفضائية وغيرها.

(2) الأديب ريان عبد الرزاق الشققي في موقعه المسمى همس الجنان

والله سبحانه وتعالى هو في محكم التنزيل كثير الحث على تحقيق هذا التوازن والانضباط بالإكثار من الطاعات وترك المنكرات والاقتراب من الناس بالحب واللطف والسعادة، ومواجهة الظالمين والمخالفين بالحسنى

فالله سبحانه أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله وسراجا منيرا كما تقول الآيات الكريمة، إذ جعل الشهادة هنا مقدمة على ما تلاها من واجبات خمسة وبشهادته الحق -والحق يحقق توازن الإنسان- على الناس بتبليغ الرسالة لتكون أمته شاهدة من بعده بتطبيقها بالتوازن المطلوب والوسطية وجهاد النفس والروح وحسن أداء الأعمال[1]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة143).

الشيخ محمد راتب النابلسي بعد أن يستعرض معاني الميزان يقول: أن الله سبحانه وتعالى حين خلق السماوات والأرض زود الإنسان بجهاز عظيم، إذا أعمله عرف الحقيقة، ألا وهو العقل مضيفا: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا) ما قيمة السماء ؟ لولا أن الله سبحانه وتعالى زود الإنسان بجهاز يتعرف إلى الله من خلالها. وما قيمة العقل إن لم يكن هناك سماء تدل على عظمة الله. الكون والعقل شيئان متلازمان متكاملان، لا يصلح أحدهما من دون الآخر.

ولا يقف عند هذا الحد بل يقول: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ الكتاب وحده شرط لازم غير كافٍ، ولكن الفكر الذي زودنا الله به نتعرف به إلى الكتاب، وكأن في الكون كتابين، الكون كتاب والقرآن كتاب، الكون قرآن صامت، والقرآن كون ناطق، وربما يضاف على هذا، وأن في معاملة الله لعباده حينما يثيب

(1) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لغُزاة رجعوا من غزوة: »قَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ« قالوا: »وما الجهاد الأكبر؟« قال: »مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ« (البيهقي: الزهد، 1/ 165).

محسنهم، ويعاقب مسيئهم مصدر ثالث للحقائق، إما أن تتعرف إلى الله من خلال الكون، هذا مصدر كبير، ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (1)

التطرف والصهيونية

من نافلة القول أن التعصب والتطرف والإرهاب أصبحت مصطلحات لازمة في تعاملنا مع الاحتلال الصهيوني لفلسطين، وهي تتعاظم بحيث لا تجد مساحة للتقبل للآخر الا عند فئة ضيقة.

لذا من الطبيعي أن نُرجع أحد أهم عوامل نشوء التعصب والتطرف والإرهاب الحديث في المنطقة إلى فساد الحال المعبر عنه بافتقاد الحرية والكرامة والطرد و الاستيطان و الاعتقال والسجن والقتل.

فان كانت مثل هذه الممارسات لا تنم عن نفسية مريضة او عقلية إقصائية أو فكر نخبوي أو عقيدة لا تعترف بالأخر مطلقا فماذا يمكن ان تكون؟

في الاتجاه المقابل أليس من الممكن أن تكون مثل كل هذه الممارسات مدخلا لواحد من أمور ثلاثة:اما الاستكانة والخضوع والاستسلام وهذا ما تبتغيه الفئة الحاكمة اليوم في تل أبيب، وأما استمرار الثورة والمقاومة والكفاح والصمود والثبات بكافة أشكاله، ولا يغيب عن البال أن الاحتمال الثالث هو احتمال قائم أي ان ينشأ جيل يحقد على الاحتلال الصهيوني كما يحقد على مجتمعه، متعللا بممارسات الاحتلال من جهة وبتقصير المجتمع أو السلطة أو الفصائل عن القيام بواجباتها ضد المحتل من جهة، وفي إقامة شرع الله من جهة أخرى كما يفهمونه، ولنا فيما حصل في غزة من ظهور عدد من التيارات الفكرية المتطرفة خير دليل على ذلك.

الوضع السياسي في المنطقة ينمو نحو التفتت والتجزئ والتفكيك والتركيب والوصاية، تحت وطأة استمرار الهيمنة الاستعمارية وسلب ثروات المنطقة الاقتصادية، وسلب الثروة العقلية بتسويق فكر (النهم) أي الاستهلاك بالتهام كل ما هو جديد او

(1) موسوعة النابلسي على الرابط http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=8075

غربي، ما يدعمه وجود الكيان الاسرائيلي الأصيل في ترسيخ فكر التفتيت والسلب والنهم، رغم انهم يقنعون أنفسهم بغير ذلك، ألا أننا من الممكن أن نعتبر مثل هذه البيئة حاضنة للارهاب كما التطرف.

ان التعصب و التطرف و الارهاب جزء أصيل من العقيدة اليهودية (التناخ) بتفسيراتها المغالية التي يتبناها اليمين في (إسرائيل)، وجزء أصيل من العقيدة الصهيونية العلمانية التي بنيت على ركنين رئيسيين هما (التهجير،الاستيطان: أي اقتلاع شعب آخر والحلول محله بالقوة) فما بالك والعقيدتين مرتبطتين؟ ألا يكون التعصب التناخي والصهيوني مدعاة أكيدة للتطرف و الارهاب داخل المجتمع الاسرائيلي وباشعاعاته في المحيط ؟

ويقول في ذلك الباحث العربي السيد يسين:التطرف الفكراني (=الإيديولوجي) لدولة (إسرائيل) مثال بارز وهي التي رفعت شعار الصهيونية وهى□ كما اعترفت الأمم المتحدة في قرار شهير لها صدر ذات مرة – إيديولوجية عنصرية. هذا التطرف الإيديولوجي الصهيوني كان وراء الصراع الدامي الذي دار مع الشعب الفلسطيني والشعب العربي منذ إنشاء هذه الدولة في عام 1948، بل وحتى قبل إنشائها حين تدفقت موجات الهجرة الصهيونية إلى أرض فلسطين.

التطرف والوسط الذهبي

إن التعصب و التطرف[1] و الإرهاب، وان شئنا التخصيص للتطرف فانه قطعا يعني الحياد عن الوسط الذهبي، والذهاب الى مدى بعيد سواء في الفكرة او السلوك، وعليه فهو ليس ظاهرة (اسلامية) مطلقا، كما يحاول أعداء الدين الاسلامي ان يوهموا العالم، وما هو ظاهرة دينية فقط تنسب لأي دين حصريا، ولا هو ظاهرة عرقية او قبلية بل هو في حقيقته انحراف او مرض او فساد فكري ثقافي، وانحراف سلوكي، وانزواء

---

(1) من الممكن مراجعة كتيب شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق المعنون (التطرف الديني وأبعاده)، جمعية أنصار السنة، دار أم القرى، القاهرة، بلا تاريخ

شعوري قد يصيب الاشخاص او الجماعات او المجتمعات من كل الديانات والأعراق ما يجب ان نتمهل جيدا في النظر اليه وتفهمه وفهمه وعلاجه.

ستتعرض في هذه الورقة تخصيصا للتطرف (الاسلامي) مع عدم ارتياحي لأن ينسب للإسلام مضافا، حيث لا أتفق مع مصطلحات الاسلام السياسي او الاسلام الوسطى أوالاسلام الليبرالي، فالاسلام هو الاسلام وكفى بذلك تعريفا كما لا أتفق لأي كان ان يصف نفسه بالاسلامي فكلنا مسلمون اسلاميون بغض النظر عن حجم اقتراب أي منا من الدين وبغض النظر عن رأيه الشخصي السياسي، لذا قد يكون الوصف الأصوب هو (التطرف) او التطرف لدى المسلمين او التطرف في أمة المسلمين كما هو في الأمم الأخرى، لغرض الدراسة او البحث و التخصيص. وعليه كان اختياري للعنوان مختلفا مع المقترح من الداعين للندوة فسطرته كم هو في العنوان.

عدا عن أن ما يحصل في تايلند وكينيا (ما يسمى جيش الرب/ المسيحي) وبورما البوذية وغيرها من الدول من مذابح اليوم ضد المسلمين، غير المذابح المتصلة من الصهاينة التي هي حكما تطرف وإرهاب وقتل غير مبرر مطلقا وكل هؤلاء ليسوا أصلا مسلمين.

ظاهرة التطرف

طغت في السنوات الاخيرة ظاهرة التطرف، كما برزت مترافقة معها عناصر التعصب مع الاتجاه للعنف أو الإرهاب، وان كان التطرف ظاهرة لا تختص بقومية أو شعب أو دين أو طائفة، فهي (كامنة) في النفس البشرية من الممكن استفزازها او تهيئة الطريق أمامها عبر فكر الغلو أو الانعزال الذي يغرف من البيئة.

وهي ظاهرة عالمية قد تحدث لأسباب عديدة في كثير منها تنشأ عن وجود الأرضية أصلا، أوتشجيع الرحم أو البيئة التي تتضمن بذورا واضحة للتطرف وتسهيلا يحض عليه للانغلاق وأخذ الامر بمنطق القطع والصواب مقابل الخطأ فقط في عدم الرغبة لرؤية ما بينهما، وكأن كل الأمور في منطقة الحلال أو الحرام (منطق الخوارج منذ النشأة) رغم

رحابة الاديان ومنها الاسلام في ذلك الأمر (فالحلال بيّن واضح، والحرام بين كما فُصّل في القرآن الكريم)

ومما يساعد بالضرورة على تنامي الظاهرة افتقاد الرعاية الأسرية والإهمال وما ينتج عن الإنفلات مع أصدقاء غير معرفين سواء في المدرسة او الشارع أو على الشابكة ومواقع التواصل الاجتماعي.

أضف لذلك أن سذاجة النظر للبذور عبر تجاوز الظاهرة او التهوين من قدرها أواهمالها لا يلغيها، بقدر ما يقرر تواصلها لدى الأفراد او الجماعات.

إن العقل العربي عقل متوزع ما بين ثلاثة: العقل (التقليدي) الذي ينهل من الماضي و(العقل العصري) الذي ينظر للمستقبل، وثالثهما العقل المضطرب وهو (العقل المتطرف) أو الارهابي الذي يريد دخول المستقبل بالرجوع للقديم البالي دون تطوير لأدوات العقل أو أساليب النظر والتفكير والتمحيص، حيث أن الماضي الاسلامي أو الديني أوالقومي التليد قطعا أفضل من هذا الحاضر فلا بد من إعادته للوراء بنظر المستقبل، وبالتشدد والقوة اللازمة. (أنظر نظرية القرود الخمسة)

ومن هنا تصبح أرضية العقل التقليدي المنتشرة في غالب الدول العربية (البيئة المغلقة) حيث تقديس السلف وتقديس الماضي والبكاء على الحضارة الاسلامية المجيدة والدعوات اليومية لاقامة الخلافة، مع نهج التكفير، تصبح كلها في العقل التقليدي مدخلا لتحوله الى العقل الانقطاعي مع العالم المعاش فيتحول الى عقل متطرف.

ولنا الاطلاع على نمو تنظيم (داعش) المتطرف كمثال في لمحة من ريهام سعيد في معهد الدراسات العربية إذ تقول (اختلفت الأسبابُ التي أدت إلى التحاق "المجاهدين" بالحرب في سوريا، ففي بداية الحرب، ذهب عددٌ منهم لأغراض إنسانية، ومع احتدام الحرب في سوريا وتحوُّلها إلى حرب طائفية، انضم معظمهم للقتال، وفقاً لدراسات لأكاديمية، إما هربًا من الملل، أو ربما للبحث عن هوية أخرى. ويُعَدُّ الانضمام إلى "داعش"

محركًا قويًا لما يمكن وصفه بـ تحويل القومية Transferred Nationalism، وهـي الظـاهرة التي تسمح للمجاهدين أن يكونوا أكثر وطنية) [1]

ما يعني قطعا أن الملل والاحباط والرغبة بـالبروز ومنـه تحقيـق العليـاء والسـطوة اوالنصر و كما يظنون تحقيق شرع الله غير المتحقق (العقل التقليدي) لغاية والانتقام مـن الحاضر المعاصر وتجلياته (العقل الحضاري المعاصر) وبأشـكال متطرفـة وعنيفـة (العقـل المتطرف) هي القائد لمثل هذه الفئات.

يقول الباحث السيد يسين (نحن أمام ما يمكن أن نطلق عليـه «العقـل الإرهـابي». وبعد تأمل طويل في مسيرة الإرهاب الذي تمارسه الجماعـات المتأسـلمة (أي الـتي ترفـع زوراً وبهتاناً أعلام الإسلام والدفاع عنه)، على وجه الخصوص، والـتي يمكـن أن يكـون تنظيم «القاعدة» نموذجها الأبرز، ندرك أن «العقل التقليدي» هو الذي يمهد الطريق لنشأة «العقل الإرهابي» الذي يدفع صاحبه للعمل الإرهابي. وذلك لأن العقل التقليدي يتسم أساساً بأنه ينطلق من رؤية مغلقة للعالم. وفى تقديرنا فإن مفهـوم «رؤيـة العـالم»، الـذي أصبح من المفـاهيم الرئيسـية في التحليـل الثقـافي، هـو مفتـاح فهـم الأسـباب الحقيقيـة للإرهاب).

ويعدد الباحث ياسين أن من الأسباب للانغلاق إضافة للقهر السياسي، مقلّلا من شأن الفقر كعامل رئيس، هو عملية غسيل الدماغ وتكريس الكراهية العميقة المتصلة، لا سيما أن العقل التقليدي هو الممهد للعقل المتطرف.

يقدم المرحوم الشيخ محمد الغزالـي شـيخ الأزهـر الأسـبق تفصـيلا حـول هـذه الظاهرة في مقالة له تحت عنوان (بين الاعتـدال والتطـرف)، فيقـول: (وأريـد أن أؤكـد للشباب أن إقامة دين شئ، واستيلاء جماعة من الناس على الحكم شئ آخـر، فـإن إقامـة دين تتطلب مقادير كبيرة من اليقين والإخلاص، ونقاوة الصلة بالله، كمـا تتطلـب خـبرة

---

(1) معهد العربية للدراسات، ريهام مقبل، دراسة في 20/ 9/ 2014 تحت عنوان أوروبا ومقاتلوهـا في داعش استراتجيات المواجهة.. وعواقب العودة.

رحبة بالحياة والناس والأصدقاء والخصوم، ثم حكمة، تؤيدها العناية العليا في الفعل والترك والسلم والحرب...! إن أناسا " حكموا باسم الإسلام، ففضحوا أنفسهم، وفضحوا الإسلام معهم!! فكم من طالب حكم يؤزه إلى نشدان السلطة حب الذات، وطلب الثناء، وجنون العظمة!! وكم من طالب حكم لا يدري شيئا " عن العلاقات)

وإن تعرضنا تخصيصا للتطرف الديني فهذا لا يبعدنا عن التطرف بالاتجاه المعاكس الذي يجب أن نراه بعيون مفتوحة حيث شتم العرب والمسلمين بل وشتم الاسلام ذاته ما يؤجج التطرف المعاكس، ولك النظر في الشابكة على أفعال المتعرية علياء المهدي من مصر، او أفعال التي تصف نفسها بوقاحة أنها (عاهرة) الأمازيغية المغربية مليكة مزان[1]، أو أولئك الكتاب الذين يتعرضون لثوابت العقيدة-لا أريد أن أذكر أسماؤهم هنا- بالتهكم والسخرية حتى من ذات الرسول والله سبحانه وتعالى ما تحفل به الشابكة (internet)

يقول السيد يسين متحدثا عن بيئة-مناخ الارهاب والتطرف (أن حوادث الإرهاب غير المسبوقة في المملكة العربية السعودية كشفت أن التيارات الدينية المتطرفة التي ظلت مطلقة السراح عشرات السنوات، والتي عملت على صياغة رؤية مغلقة للعالم، تريد أن تجعل من الماضي البعيد المرجعية الأساسية للمجتمع، في ظل شبكة معقدة من التحريم في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة، بالإضافة إلى سهولة إصدار الأحكام بالكفر ومخالفة الشريعة الإسلامية. هذا المناخ الرجعى بذاته هو الذي أدى إلى انفجار الإرهاب في المملكة العربية السعودية، خاصة بعد أحداث سبتمبر، وانتشار الفكر الإرهابي لتنظيم القاعدة ونجاحه في استقطاب الكثير ممن لديهم الاستعداد للتماهي مع إيديولوجيا التنظيم وتكتيكاته المستخدمة في تنفيذ العمليات الإرهابية).

---

(1) أنظر لما تقوله الكاتبة وأظنها حاقدة و متعصبة على صحيفة هسبريس المغربية ونقله موقع (نقطة واول السطر) http://www.noqta.info/page-75059-ar.html

التطرف والإسلام

إن التطرف كما التعصب و الارهاب آفة اجتماعية ثقافية عقلية قد تجد لها من المبررات الكثير ولكنها في الحقيقة انحراف عن الطريق السوي.

ولا يجوز أن تنسب للدين الإسلامي، ما هو غير صحيح، وانما هي ظاهرة عامة لها الجذور الثقافية والفكرية والاقتصادية والنفسية معا، ويقول في الامر الشيخ هاني فحص (إن الإسلام والأديان الأخرى مرتكزة في الأساس على آليات الحوار والتثاقف والاندماج، فالدين الاسلامي يدعوني ويلزمني بضرورة العمل على الوحدة لا التجزئة. فالوحدة لا تؤدي إلى إلغاء التعددية، بل على العكس تسعى إلى الإسهام في تجلي التوحيد الذي يجمع الأديان، حتى الأديان غير السماوية يجب التعرف إليها، والإسلام يدعو إلى الحوار والتثاقف، فهناك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تحث المسلمين على ضرورة تقبل التعددية (إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا). التعدد ليس المشكلة بل المشكلة في كيفية إدارة هذا التعدد هذا هو شرط الإسلام الآخروي، والأديان حتى لو كانت ذات أدوار تأسيسية عنفية، هذا الأمر لا يلغي التعددية فعلينا إذاً أن نتفادى الحرب دون أن يدخل في أذهاننا وهم بأننا يمكن أن نحقق سلاماً كاملاً حتى لو أراده الله، فالعقيدة الواحدة والسلام المطلق يعطلان الإبداع والتعدد).

مضيفا لصحيفة السفير[1] (يجب فتح الحقول المعرفية في سبيل تنمية وتجديد اجتهاد حضاري متطور، لأنه إذا لم يتمّ تجديده ينتهي، فالماضي هو الذي نضيف إليه ولا نعيش عليه، وهذا لا يتمّ إلا من طريق إعادة إدخال المستجدات المعرفية والحياتية في فهمنا للدين، وللنص، فمساحة الفهم فيه مبنية على الحرية وليس الالتزام، والتأويل يجب أن يعتمد على المعارف الحديثة في سبيل الوصول إلى نتائج وخلاصات تدفع المجتمعات العربية والإسلامية إلى الحداثة الكونية).

(1) ريتا فرج في صحيفة السفير 20/ 9/ 2014 .

معادلة التطرف

من الممكن أن نركب معادلة التطرف مرجعيتها لدوائر ثلاثة الأولى هي الشخص نفسه، والثانية هي مدى شدة ومساحة وطبيعة المؤثر الأساسي والثالثة هي الحاضنة الاجتماعية او البيئة المحيطة.

والمؤثر الأساسي قد يكون فكرة أو فكرانية (=ايديولوجية) أو ظرف اجتماعي قاهر أوطارد أو نابذ أو ممهد، أو سياق تنظيمي سلطوي، أو من خلال شخص ذومهابة وثقة، وقد يكفي أحدها أو بعضها لتمثل درجة عالية من الانسياق نحو الغلو والتطرف.

ان البيئة الاجتماعية ذات الطبيعة المغلقة غير المتسامحة او المنفتحة، هي بيئة خصبة للأمراض او الانحرافات ومنها التطرف، لأن الجذور الحقيقية موجودة في النفس الإنسانية ومرجعية الشخص الثقافية التي من الممكن التعامل معها بيسر و سلاسة وانفتاح او بتشدد وتعصب، أي ان البيئة الاجتماعية مع البيئة العقلية في ظل ضغط مستمر خارجي (شخص او جماعة او....) قد تشدان الفكرة باتجاهاتها القصوى فتترك المنطقة الوسط وتشد الى الاطراف فاما منتهى التساهل او التطرف.

تخصيب التطرف

ان معادلة التطرف تتطلب تحقق في 3 شروط تؤدي إلى صنع البيئة الخصبة أوالمخصبة و المولدة للتطرف هي:

1- (العزلة) العزلة للشخص أو الجماعة سواء الحقيقية المادية المكانية، او الشعورية، والتي قد تأتي لسبب التهميش أو الشعور به أوالإحساس بالنبذ وعدم الأهمية وفقدان الدور

2- وتحتاج لشخصية مندفعة شديدة التحمس، لديها الرغبة بالقفز واثبات الذات وكل ذلك مقترن بالنقطة الثالثة

3- وهي: (الجهل) أو التبسيط او خلو العقل من الفكر المتين والإيمان العميق..ومن هنا تصبح البيئة مخصبة.

نشوء وولادة التطرف

ان نشوء التطرف وظهوره بعد مرحلة التخصيب يحتاج لشحن مستمر وتحريض دائم وتكرار كثير يترافق مع تواصل الإنكار أو الإهمال أو النبذ من البيئة[1] المحيطة أوالاستهتار و التهوين، كما يزرع بذوره بقوة استنكاف المؤسسات والتنظيمات والأشخاص الواعين عن التنبه له إما تهوينا منه أو انشغالا بأولويات أخرى أو....

ويرى السيد يسين 6 مصادر للإرهاب عاملها الرئيس كما ذكرنا الشحن المستمر والتواصل ضمن البيئة الحاضنة هي الحرمان من الخدمات الأساسية، وانكار حاجات الشخص للامن والكرامة والهوية والمشاركة السياسية، مضيفا لها استخدام التنظيمات وسائل الترغيب والترهيب، زد على ذلك مظاهر الحرمان والضياع وامتهان الكرامة، ومع ما يقترن معه من فكرانيات أخروية، إضافة لنظريات اخرى ترى في التطرف أسباب مرضية كما نورد في التطرف من زاوية نفسية.

معادلة نشوء التطرف
انعزال +اندفاع/ حماس+جهل = بيئة مخصبة ــــــ (شحن مستمر، إهمال، إنكار البيئة)

ما هو التطرف؟

إن الفكر بما هو شأن أنساني، وجهد عقلي مبذول لينتزع الجديد من أفكار أولية سابقة، وبما انه خريطة طريق أو خطة عمل تنتج أفكارا جديدة فهي قابلة للأخذ و الرد،

---

(1) في تعليق الكاتب نبيل الشعيبي في مجلة فوربس على مغربي من "داعش" يضحك لقطعه 5 رؤوس بالقول أن: "وجود بيئة يستشري فيها تطرف ديني أعمى وينتشر فيها التشاؤم وعدم احترام الذات يبرز هكذا وحشية إلى الوجود. لقد حان الوقت لاستبدال غضبنا المعنوي وعديم الفعالية بأعمال ملموسة."

إلا أنها تصبح محصنة من خلال غرفة مصرفية (حصينة) بمفتاحين وأرقام سرية متى ما تم (الإعلاء) من شان الفكرة الى درجة (رفض نقاشها) فتصبح أيقونة أو (مقدسا) أو إلها يحكم، وهذا ما نراه في سياق التعصب الفكراني (الايدولوجي) والتطرف ظاهرة معقدة، وهو- بتعريف بسيط مباشر- أنشطة (معتقدات، واتجاهات، ومشاعر، وأفعال، وإستراتيجيات) يتبناها شخص أو جماعة بطريقة تبعده عن الأوضاع العادية السائدة بين الناس. هذه الأنشطة تعلن عن نفسها في مواقف الصراع باعتبارها شكلاً عنيفاً من أشكال الانغماس في الصراع. ومع ذلك يمكن القول إن إطلاق صفة التطرف على الأنشطة والناس والجماعات، وكذلك تعريف ما هي الأوضاع العادية في أى موقف، هي مسألة ذاتية من ناحية، وسياسية من ناحية أخرى.[1]

من مظاهر التطرف (الإسلاموي)

كيف يعبر التطرف عن ذاته؟ إنه يعبر عن ذاته كما نرى من خلال الأشخاص، أو من خلال الجماعات المتطرفة عامة بخطابها ومنشوراتها وفكرها الذي يتضمن

1) التعصب للفكرة (رفض نقاشها أو تقديسها، أو اتهام مخالفها)،للشكل (لبس، أكل، مظهر، رموز، شعارات، إستشهادات) والتعصب للموقف (للقائد للتنظيم او الكتاب) والتعصب لذات التنظيم كما التعصب للقائد او الأمير.
2) اسقاط القداسة وتأتي بنزع الشرعية والنبذ للآخر أو الانتباذ عنه ما يؤجج مفاهيم التكفير او التخوين أو التفسيق
3) تحقق العزلة المكانية او الفكرية (مناهج التفكير ومضامينه) او الشعورية، بل وتأييد كل ذلك بمفاهيم واستشهادات وتطبيقات تاريخية.

(1) السيد يسين في كراس "العقل الارهابي والتطرف الايديولوجي"

4) التهـرب مـن التواصـل او الاخـتلاط بـالمجتمع والعمـل للابتعـاد عنـه، والاستعلاء عليه والتمييز عنه، بل و رفض الحوار معه (تجهيـل المجتمـع.:أي اعتباره مجتمع جاهلي كما هي الحال قبل الاسلام).

5) في حال أي مواجهة يكون منبعها الفكر الظلامي غير المتسامح والاقصـائي، وهو الفكر التصادمي مع الاخر ما يؤهل الشخص او الجماعة للقيام بالعمل العنيف.

ومن مظاهر الغلو والتطرف الديني في هذا العصر كمـا يـرى أيضـا د.عبـدالله بـن صالح[1]:

- تكفير المجتمع على العموم، حتى وصـل الأمـر ببعضـهـم أنهـم كفـروا مـن لا يوافقهم على أرائهم!!.
- وهناك من يتوقف في الناس فلا يحكم عليهم بشيء حتـى يتحقـق مـن صـحة عقيدتهم.
- وهناك من يحرم الصلاة في مساجد المسـلمين، وبعضـهـم يقـول: لا نصـلى إلا وراء من نعرف عقيدته!!.
- الدعوة الي العنف والخروج علي المسـلمين بالسـلاح، وقتـل الأبريـاء وإثـارة الفتن والقلاقل وعدم مراعاة حرمة دماء المسلمين.
- يزعم بعضهم إن جماعتهم الوحيدة المسلمة في العالم!!.
- رفض إجماع الأمة، والطعن في أئمة الدين وانتقاص حقهم.
- التشدد في الفرعيات: وهذا يقع في كثير من الدعاة. وهو التـزامهم التشـدد في كل الأمور، وكأن الأحكام الشرعية عنـد هـؤلاء أصبحت حكمـين، الحـرام

---

(1) على الموقع أدناه، وأيضا موقع السراج: الدكتورعبد الله بن صالح
http://www.assakina.com/mohadrat/17713.html

والواجب،مع إن الأحكام الشرعية تنقسم إلي خمسة أقسام معروفة، والشريعة الغراء مبنية علي التيسير والتخفيف ورفع الحرب.

- ونضيف أن من مظاهر التطرف أيضا في مجتمعنا الفلسطيني قتل من يشك بعلاقتها مع شخص آخر، ومنع الميراث عن الأخت، ودعاوى التكفير أو التخوين للسلطة أو الأجهزة الأمنية، والتشكيك من البعض في عقيدة من هو غير منتمي لجماعته.....الخ.

التطرف من زاوية نفسية

وإن عدنا للتطرف من حيث هو ظاهرة أو مرض أو حالة عامة، تقول د.اقبال الغربي الأستاذة في جامعة الزيتونة التونسية[1] بعد أن ترجع أسباب الظاهرة لمعطيات

1-شخصية مرتبطة بالزعماء الروحيين

2-ولأسباب اقتصادية

3-وتضيف الباحثة معطى ثالث يغفل عنه الكثيرون ولكنها تتفق فيه مع رأينا كليا وهو المعطى النفسي.[2]

---

(1) كامل الدراسة على الرابط المرفق
http://www.metransparent.com/old/texts/ikbal_algharbi_psycological_approach_to_religious_extremism.htm

(2) يضيف الباحث السيد يسين في بحثه "العقل الإرهابي والتطرف الأيديولوجي-تحليل ثقافي" البعد الثقافي الى ما سبق معتبرا أن التطرف هو الوجه الآخر لرفض الحداثة موضحا أنه (مع أهمية عملية المراجعات التي أجرتها «الجماعة الإسلامية»، وجماعة «الجهاد»، في مصر، وما انتهيتا إليه من إدانة وتخل واضح من جانب هاتين الجماعتين للعنف والقوة كوسيلة لتغيير النظام السياسي والمجتمعات الإسلامية، ومراجعة للأسس الفقهية التي استندت إليها هاتان في ممارستهما للعنف، سواء ضد الدولة أو المجتمع، إلا أنهما حافظتا في الوقت ذاته على رفضهما للحداثة الغربية. فقد توقف التاريخ لدي هؤلاء- والذين أعلنوا جهاراً عن توبتهم وإقلاعهم عن العنف والإرهاب- عند سقوط الخلافة الإسلامية في أواخر العشرينيات من القرن الماضي، بعد أن هوى الرجل المريض الذي تمثل في الإمبراطورية العثمانية. منذ ذلك التاريخ تنقطع جهود أنصار الإسلام السياسي في سبيل استعادة الخلافة، والتي هي بالنسبة لهم بمثابة «الفردوس المفقود».

إذ تقول تحت عنوان جانبي: العوائق النفسية التي تحول دون قبول الآخر و تؤجج التطرف أنها مرتبطة بالآليات النفسية التي تجعلنا نرفض الاختلاف، هي حسب نفساوية (سيكولوجيا) الأعماق التالية:

- كراهية الأخر
- الجمود الذهني
- التعصب

1 – كراهية الآخر

بعد أن تشير الى أن (الاختلاف ومبدأ قبول الآخر إثراءا للفكر و ذلك بفضل تقنية الصراعات المعرفية التي توفر أجواء ديمقراطية تقوم على مبدأ التعددية والتسامح.)

والى (أن التقدم المعرفي وإثراء الفكر لا يحصل إلا إذا وجد الأفراد أنفسهم في وضعيات اختلاف ومواجهة مع أفراد متنوعي المستويات والتوجهات)

وقائلة (بعد الإشارة لعدد من البحوث العلمية (نستنتج أن أي صراع معرفي بإمكانه أن يؤدي إلى إثراء الفكر يشترط وجود اختلافات في آراء الأطراف المجتمعة حول عملية بناء المعرفة.)[1]

---

1 تضيف الباحثة في دراستها الشيقة: (إلا أن إثراء الفكر عن طريق الصراعات المعرفية يتطلب مناخا معينا يقبل الاختلاف ويسوده التفاهم والتسامح. وقد قدمت لنا الأعمال العلمية الحل بالأسلوب الديمقراطي القائم على مبدأ النقاش وقبول الاختلاف مع تفهم الآخر. فالمناخ الديمقراطي:

- يشبع لدى الفرد حاجته إلى الأمن
- ينمي لديه القدرة على الإنجاز
- يغذي مطلبه التواصلي مع آخر
- يذلل مشاعر القلق والاضطهاد)

الى أن تقول في اكتشاف الذات ومبرر كراهية الآخر ما نصه: (إن اكتشاف الذات وفهمها يمر حتما بتجربة التعايش مع الآخر.هذا الآخر الذي يمثل دور المرآة العاكسة بالنسبة للفرد.) موضحة بأسلوب علمي نفسي أنه (في غياب الآخر المرغوب والمرهوب في آن واحد يتحول كل

2 -الجمود الذهني

وفي الجمود الذهني نقتبس من الباحثة إقبال الغربي التالي: وبما أننا لا نستطيع العيش دون تواصل مع الآخرين سوف يبحث المصاب بالجمود الذهني[1] عن آخرين غير مختلفين عنه، يشبهونه ولا يمارسون عليه أي ضغط أو نقد) مسترسلة الى حد التصريح أن الشخص الجامد ذهنيا (سوف يجدهم في عشيرته في شيعته أو في حزبه. والصورة التي

منا إلى وحش هذا إذا استطاع ضمان بقائه. ذلك أن الإنسانية اكتساب ثقافي و علائقي وليست إرثا حيويا = بيولوجيا.) مرجعة الأمر لفترة الطفولة والتكوين، فإما تعويض جرح الفطام الحسي (النرجسي) و (أما إذا عجز الطفل عن احتواء هذه الأزمات و التحولات الضرورية لنموه السليم وعاش الآخر كعدو وكمعتد على أمنه، فسوف يرد الفعل بمشاعر الاضطهاد وهذيانات التآمر وبالتالي سيسقط على الآخر المختلف عنه عرقيا دينيا أو فكريا مشاعر الحقد والكراهية التي عاشها في طفولته المبكرة ويعامله كمسئول عن طرده من الجنة الضائعة (الانصهار في الأم الحنون) أي كتلك الأم الشريرة الفاطمة، وكذلك الأب المستبد والخاص (طبعا حسب الهوامات الطفلية). و هكذا يقع تبرير كل أشكال العنف التي تصبح بشكل سحري دفاعا شرعيا ضد الآخر الذي ينبغي حماية الذات منه.)

(1) وتعرف اقبال الغربي الجمود العقلي بأنه: العطب في المسار الذهني الممثل لعجز المرء عن تغيير وجهة نظره ووضع نفسه مكان الآخر لفهمه وتفهم وجهة نظره. وتضيف: هو يوجد في الحالات المرضية مثل العصاب الاستحواذي كما أنه إحدى السمات الجوهرية في تناذر "البرانويا". المصاب بالجمود الذهني تنقصه المرونة الفكرية. له رأي ومبادئ ثابتة، منغلق على حجج الآخر لأن مركزيته الذاتية جعل الإنسان نفسه مركزا للكون تجعله عاجزا عن وضع نفسه مكان الآخر أي المختلف عنه في الرأي أو في الدين لفهمه وتفهم وجهة نظره، المصاب بالجمود الذهني يرتكز على ثوابت ومسلمات لا تقبل النقاش لأنها محاطة بدلالات وجدانية وبشحنات لا شعورية تجعل من كل نقاش فيها نقاشا في معنى حياة المتشبث بها).

تنطوي عليها هذه العلاقة هي صورته و قد عززها و دعمها وبررها الآخرون. وهي صورة نرجسية مطمئنة.[1]

ولنا في هذا الامر أن نأخذ مثالا هاما هو السيد هاني فحص الشيخ الشيعي المتنور الذي انتمى لحركة فتح في لبنان (توفي 18/ 9/ 2014) إذ يقول ردا على سؤال له من صحيفة العرب اليوم النالي: "كنت أعتدل وأتطرّف لكن في النهاية صار الاعتدال خيارا منهجّياً". يوضح: "تطرّفت في علاقتي بالثورة الإيرانيّة، كنت إسلاميّا حادًا لأعوام طويلة أرفض الآخر، حتى أنني تطرفت في البحث عن الإسلام الحقيقي بين عامي 1979 و1984 وصرت راديكالياً". يتابع:"مع الوقت إكتشفت الوطنيّة الإيرانيّة المتجذّرة في الناس، بمعنى أن الحسّ الوطني الإيراني هو الأساس. هذا عظيم لإيران. لكنني بدوري قرّرت أن أكون لبنانيا عربيا أعيش بين المكوّنات اللبنانية وكثيرة هي القيادات الإيرانية التي شجّعتني على ذلك". هنا يرفض السيّد هاني ذكر أسماء محدّدة.[2] وهو الذي قال أيضا معترفا بثقة وجدارة لنفس الصحيفة (لم تخل حياتي في لحظات عابرة من التورّط في عصبيات مذهبية أو دينية، لكنّني تيقّنت مع مرور الزّمن بأنّ العيش المشترك والحوار والإندماج هي الأصل).

---

(1) تضيف الباحثة في الموضوع قائلة: ويشكل هؤلاء الآخرون امتدادا يكاد يكون بيولوجيا للأم الحامية ويلعبون دور "الحضن الطيب" حسب تعبير ميلانى كلين. كما يمثل الآخرون مجموعة يحاول من خلالها الفرد إعادة بناء "نحن جماعية" يستعيد بها وهميا محاولة الانصهار من جديد في جسد الأم.
وداخل هذه المجموعة المتشابهة الباحثة عن الأمن والأمان (المتسمرة في الحنين إلى حضن الأم الطيبة) يسود التماثل ويطغى النقاء. فهذه المجموعة تجسّد النظام الطبيعي للأشياء وكلّ من ينحرف عنها (الدخيل / الغريب / المختلف) أو يحتجّ على معاييرها أي على أوامرها ونواهيها يمثل خطرا على نظام الكون ويسبب الفوضى والفساد.)

(2) صحيفة العرب اليوم 201418/9/

3 -**التعصب**

(يقـدم لنا ابن منظور في لسان العرب التعريف التالي: " التعصـب هـو أن يـدعو الرجل إلى نصرة عصبيته والتألّب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين" وهـذا التحديد لا يختلف في شيء عما قدمه لاحقا علم النفس حول التعصـب إذ أن التعصـب من وجهة نظر علم النفس هو ميـل انفعـالي يفـرض علـى صـاحبه أسـاليب وطـرق في التفكير والإدراك والسلوك تتفق مع حكم بالتفضيل أو عدم التفضيل لشخص أو جماعة. وهذا الحكم يكون سابقا لوجود دليل منطقي أو دون دليل إطلاقـا.) (وهـو غـير قابـل للتغير بسهولة رغم توفر البراهين المنطقية المعارضة التي تشير إلى عدم صحته لأنه ينطوي على نسـق مـن القوالـب النمطيـة. أي تصـورات تتسـم بالتصـلب والتبسـيط وكـذلك بالتعميمات المفرطة عن جماعة معينة وفي أغلب الحيان مختلفة)

ويذكر الكاتب والمفكر المصري علي سالم في رؤيته للاخـواني المتطـرف أن:" لديـه دائماً شعور بالقلق الهستيري من الواقع الذي يعيشه، وعاجز عن الشعور بالرضـا، وأنـه لن يخفف هذا الشعور إلا نسف وتدمير هذا الواقع بمن فيه ومن عليه، وهذا سر ما نـراه من حرق الممتلكات ومحطات ومحولات الكهرباء علـى أرض مصـر لكـي يضـبح النـور ظلاماً."

مضيفا في رؤيته إلى "أن الإخواني المتطرف لا يقيم علاقات طبيعية مع غـير أقرانـه داخل جماعته ولا يتعاون معهم أو يتحالف، ولكن يسعى ويخطط للعدوان عليهم، ويضع أدواته العدائية من متفجرات في أماكن هؤلاء، لأنه لا يسعى للإصلاح ولكن يسعى مـن أجل التطرف."[1]

(1) مركز المزماة للدراسات والبحوث نشرة 20/ 9/ 2014

التطرف من زاوية ثقافية[1]

وخير من وجدناه تعرض لهذه الزاوية الهامة هـو المفكـر العربـي المعـروف السـيد يسين، إذ نظر بعمق للظاهرة من زاوية ثقافية فكرية في بحث مستفيض له، فيقول مشخصا ظاهرة التطرف أنها تّلجيء صاحبها الى:

1-التعميم الجارف على الثقافة الغربية، وادعاء أنها بطبيعتهـا (كلـها دون فـرز أو تمحيص أو تبيين) مضادة للقيم الإنسانية الرفيعة، التي تتعلق بالحريـة والعـدل والمساواة.

2- مؤكدا أن: الأخطر من التحيز في رسم هذه الصورة النمطيـة السـلبية للثقافـة الأوروبية-كما يورد- هو ادعاء الإسـلاميين المتشـددين أن الخـراب لم يلحـق بالبلاد العربية والإسلامية إلا بسب تبنى مبادئ الحداثـة الغربيـة، ومـن بينهـا تطبيق القوانين الوضعية، ووقف تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وهو ادعاء ليس له من أساس. وفى تقديرنا فـإن الـرفض الإسـلامي للحداثـة الغربيـة- والذي يكون في بعض الأحيان رفضاً مطلقاً، وفى أحيان أخرى رفضـاً جزئيـاً لبعض جوانبها- هو بمثابة خطر ثقافي على المجتمع العربي لا حدود له. وذلك لأن هذا الرفض القاطع يعنى في الواقع رفضاً لمجموعة من القـيم المتماسـكة الـتي قامـت علـى أساسها الحداثة الغربية، وأدت في الممارسة إلى تقدم المجتمعات الغربية.

2-ومشيرا الى الخلط عند الاسلامويين بين الحداثة [2]كمشروع حضـاري وعمليـة التحديث، والتي تعنى تطوير مجتمع ما كالمجتمع الزراعي لكي يتحول إلى مجتمع صناعي.

---

(1) لمراجعة السيد يسين

http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=716872&eid=448

(2) تتضمن "الحداثة" كمشروع حضاري احترام الفردية في ظل نظام ديمقراطي يؤمن بالتعدديـة والحقـوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمواطنين، والعقلانية، والاعتماد على العلم والتقانة .

والباحث المفكر العربي الكبير السيد يسين الـذي ينـاقض الفكـر الاسـلاموي في النظر للصورة في الغرب بشكل اجمالي بل وعدائي، يرى كما يقول في محاضـرة لـه أن:[1] الحضارة الغربية تقوم اليوم على عدة أسس هي الفردية والعقلانية والاعتماد على العلم والتقانة (=التكنولوجيا)، وتبني نظرة خطية Linear في النظر للتاريخ الإنساني بمعنـى أنـه يتقدم من مرحلة لأخرى.

موضحا: أن التقدم في التاريخ يعني في المقام الأول تجاوز الممارسـات والأعـراف البدائية التي سيطرت على المجتمعات والدول في صراعاتها، والتي كانت تتسـم بالبربريـة. والدليل على ذلك أن الفظائع التي شهدتها الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية تم تجاوزها بشكل عام بعد إنشاء الأمم المتحدة عام 1945، والتي أكدت على حق الشـعوب في الحرية وأعلت من شأن حقوق الإنسان، وبالتالي لا يمكن اعتبار النازية والفاشية تقدماً في التاريخ بل تراجع خطير، تماماً مثلما تعبر حركـة «داعـش» بممارسـاتها الدموية عـن تراجع في التاريخ، أما عن تتحول الاحتجاجات إلى ثورات فقـال أن هـذا لا يـتم إلا إذا برزت فيها قيادات لديها رؤية واضحة ومحددة عن المستقبل.

درجات التمسك[2]

إن درجات التمسك بالفكرة، الرأي، الموقف، الاتجاه أو المعتقد تمر بأضـواء ثلاثـة (أخضر،أصفر،أحمر) و بـ 9 مراحل من الضروري التنبه لها وقياسها سواء على الشخص او التنظـيم او علـى البيئـة، ومـن الممكـن علميـا الاسـتفادة مـن مراكـز الأبحـاث والاستطلاعات وقياس الرأي لتحديد ذلك اذ اننا نرى الدرجات وألوانها كالتالي:

---

(1) من محاضرة له في شهر 9 للعام 2014 في المركز العربي للبحوث
http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=81433 □

(2)الثعالبي حسب رأيه 11 درجة للحب هي:
الهوى-العلاقه-الكلف-العشق-الشعف-الشغف-الجوى-التيم-التبـل-التدليـه-الهيـوم والهيمـان على الوجه.

الدرجة	اللون	اسم الدرجة	التعريف
.1	أصفر	الأخـــذ (أو عـــدم الأخذ)	الأخذ يترافق مع الايمان الطوعي
.2		التمسك	محبذ (وهو مرحلة بعد الايمان والأخذ) والتهاون فيه ذنوب له سياق قانوني / قابل للتفلت
.3		الانضباط	التمسك يعني الانضباط للحدود والتوقيتات وللمقياس، سياق قانوني / قابل للتفلت
.4	أصفر	التشدد	نسبة عالية من التمسك وان ليس في كل الأمور
.5	أصفر	التعصب	نسبته شديدة
.6	أحمر	التطرف	عزلة مكانية فكرية شعورية تؤهل للعنف.
.7		الغلو	أضف لما سبق أي العزلة أساسا، يلحقها قطعية في كثير من الأفكار والعقائد، ونقضها
.8		الإرهاب	التعصب والتطرف والغلو من مسببات العنف والإرهاب، وهوفعل مضاد بالإكراه عنيف ومقصود
.9		جهنم	لا تميز بالقتل مطلقا فكريا وجسديا أي قاتل متسلسل كما كان (هولاكو) المغول بلا ضمير او رادع او قيود.

درجات الحب

إن كنا تحدثنا عن درجات التمسك وصولا للتطرف فالغلو، فمن اللطيف ان نقـرأ عن درجات الحب سواء الإنساني او للطبيعة او الإلهي حيـث يمكـن تعريـف الحـب أنـه شكل من أشكال الاعتراف بالآخر بدون شروط ومقدمات كما يعرفه الكاتب صـاحب الربيعي. يعرف ((جمال الدين الرومي)) الحب (مشـيرا لحـب الله تعـالى بشـكل واضـح) قائلاً:" يعني أن تميل بكلك إلى المحبوب، ثم تؤثره على نفسك وروحك ومالك ثم توافقـه سراً وجهراً ثم تعترف بتقصيرك في حبه".

وعن الدرجات كتب الكثير من فلاسفة العرب ومنهم[1] ابـن حـزم الأندلسـي في كتابه الجميل (طوق الحمامة في الألف و الإيلاف) وابن الجـوزي والسـيوطي، وجـلال الدين الرومي

يقول الكاتب الحسن الكيري[2] مصورا الحب أن (الحـب الإلهـي يمكـن أن يجسـم بواسطة دائرة، في مقابل الحب البشري الـذي يجسـم بواسـطة مربـع.إن الـدائرة سـتوجه الفنون والكون، وهكذا سنجد انه في موسوعة إخوان الصفا يتم التشديد على أن" الخـالق لا يخلق شيئا إلا ويكون كاملا ودقيقا، لهذا خلق الدوائر السماوية بطريقة دائرية لأن هذا الشكل هو الأكثر كمالاً"(18). إن الدائرة، في معظم الثقافات، تشكل رمزا لكـل مـا هـو روحي وثابت وهام ولا مرئي. في هذا الصدد يشار إلى أن الـدائرة تحيـل، كـذلك، علـى

---

(1) الحب يتطور من حالة إلى حالة (درجات) وفي لسان العرب اصطلاحات للحب نلخصها بالآتي:
الحب نقيض الكراهية والبغضاء، والصبابة والهوى. العشق فرط الحب + علاقة في تلازم للقلب الذبول الجـوى شدة الوجد من عشق وألم وحزن. الشغف شدة الحب وارتفاعه إلى أعلى موضع في القلب.
الشغف تمكن الحب إلى شغاف القلب(غلافه) أو حبة القلب وسويداؤه. التيم العشق وذهاب العقل من الهوى، وتام تخلى عن الناس. التبل السقم بسبب غلبة الحب عليه وهيمه. الدلـه ذهـاب الفـؤاد من هم وغيره.
الهيام الجنون (وهو يشبه التيم والتبل والدله) (د.وفاء رفعت العزي)

(2) http://almothaqaf.com/index.php/derasat/78234.html

السماء ذات الحركة الدائرية وغير المتغيرة"(19).من هنا، أيضا، نجد أن هذا الشكل يـرتبط أصلا برموز من قبيل العجلة وغيرها.ويمكن أن نلاحظ هـذا الشـكل الـدائري، كـذلك، عند الحجاج الذين يطوفون بالكعبة وبمنبع زمزم ولم لا عنـد الـدراويش المتصـوفة الـذين يؤدون رقصة ذات شكل دائري وهم يدورون.)

ويمكن الرجوع لدراستنا حول الانفتاح الفكري والنفسي والروحـي تحـت عنـوان "ماذا إن فتحت البوابة الثالثة، فيوحى لك؟ " حيث تجد مما نورد فيهـا(أن تصـغي يعـني أن تجعل من البوابات الثلاثة مفتوحة لعلك تدرك فتسمع وتتأمل وتتعمـق وتـتفهم وتفـرح وتنفذ وتحب).

فالإصغاء درجات أو محطات أو مقامات [1]هي كما ذكرنـا أعـلاه، وهـي مراتـب أولها مرتبة المستمع ثم مرتبة المتأمل يليها المتعمق فـالمتفهم فـالفَرِح فالمنفّـذ، فالمحـب، وأن تصل السماء السابعة حيث الروح فأنت المُحِبّ).

وسائل التجنيد للتطرف

يستخدم المتطرفون وسائل عدة لجذب المستهدفين التي منها

1-دور العبادة، ودروس الدين بشكل كبير وكذلك

2-استخدام الأشرطة الصوتية والمرئية التي يتم بثها من خلال الشـابكة وخاصـة على موقع (يوتيوب) والمواقع الأخرى، وهم يبرعون اليوم باستخدام وسـائل التواصل الاجتماعي مثل تويتر وفيسبوك، كما

3-تعتبر المدارس والجامعات أرضا خصبة للاستقطاب لسهولة اسـتغلال حماسـة واندفاع وحمية الطلاب وتوجيههم الى مزالق خطرة، أما

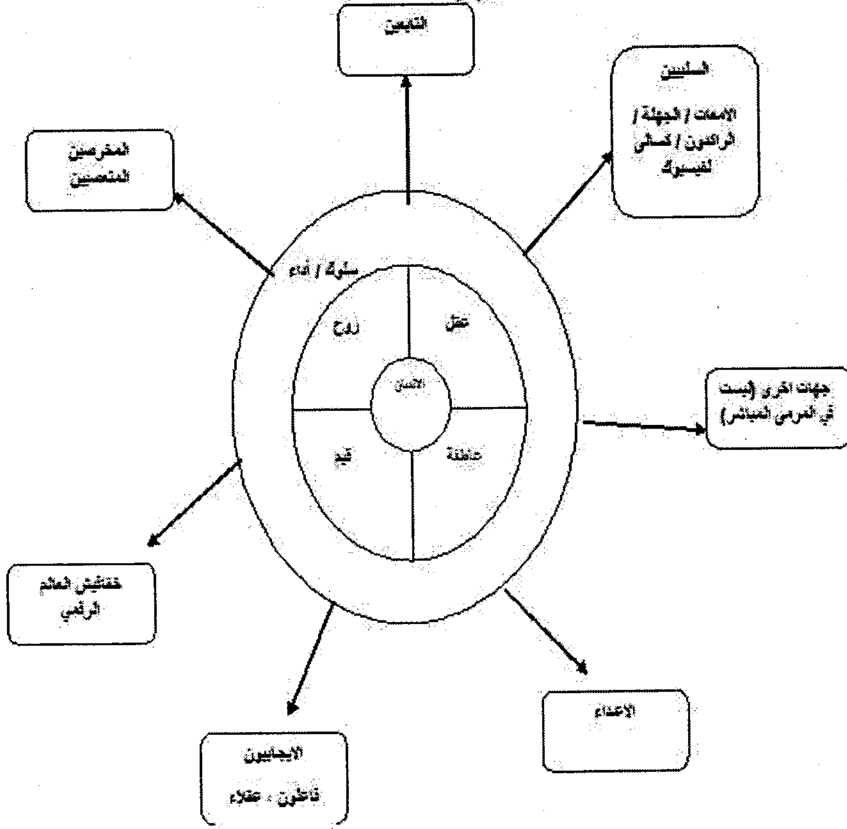
4-المعتقلات والسجون سواء في الدول العربية أو الغربية فهي أيضا مجال خصـب للدعوة للفكرة التي تعتمد كما ذكرنا علـى الحاضـنة أو البيئـة المسـاعدة مـن خلال ساس الفكرة المرتبطة بالفكر التقليدي والماضوية.

---

(1) يستخدم الصوفيون مصطلح مقامات للدلالة على المراتب.

وما دمنا نتحدث عن التجنيد على الشابكة (انترنت) فمن المهم أن نطل على التصنيف الذي نورده لمرتادي الشابكة والمواقع الالكترونية المختلفة: وهم إما التابعين لغيرهم المقلدين لهم الموافقين وهم المتدينين أصحاب العقل التقليدي، أو المخرصين المتعصبين المحرضين وهم فئة ما دون الخفافيش ولكن يعملون بنفس أهدافهم، وهناك خفافيش الظلام ذوي الأهداف العميقة الراغبين بتجنيد الآخر او تسميم أفكارهم والبدء بتشكيكهم لهدم أفكارهم ثم الانقضاض عليهم، ولكن هناك الايجابيين الذين يحكمون عقولهم فلا يقبلون أي مُدخلات إلا بعد تفكير وتمحيص وبحث وثقة بعقولهم وايمانهم، وهناك السلبيين الإمعات أو كسالى الشابكة والفيسبوك، المترددين أو الكتلة المائعة، وهم يميلون باتجاه الريح (كالقشة في مهب الريح كما عبر عنهم الشيخ محمد الغزالي) وهناك الأعداء الواضحين بصلف، إضافة لجهات قد لا نعلمها.

شكل (1) الفئات المرتادة للشابكة



ويمكن أن نشير نحن هنا الى الفئات الأكثر استهدافا سواء في الميدان او الكترونيا لنقول:

-النشطاء عامة وخاصة الشباب. (في المجتمع وعلى الشابكة=internet)

-البسطاء (عامة الناس).

-المندفعين المتحمسين ذوي الشخصية العدائية للمجتمع.

-ذوي العقول البسيطة (الامعات).

-المنطوين اجتماعيا والمنبوذين أو المهمشين أو المنعزلين.

سراطيات (=استراتيجيات) المواجهة للتطرف

يجب أن نحصر طريقة عمل الأشخاص أو / و الجماعات المتطرفة الاسلاموية التي تستغل (البيئة) و (المجتمع) و (العقل التقليدي) وطبيعة النكوص للماضي، واستفحال العقلية الاستهلاكية التي يقابلها الشعور بالنقص وعدم القدرة على مواكبة التقدم، اضافة للقدرة الكبيرة لدى هذه الجماعات على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

ولأن واجب المعرفة والفهم والتشخيص، ما يتلوه من نظر وتأمل وتفكير، يسبق البحث عن حلول فإننا من الممكن أن نرجع طريقة العمل التحريض الى 3 أشكال:

- التشكيك: من خلال إشعار الطرف المنوي استقطابه أنه مقصر بحق دينه أو ربه، فهو مبتعد عن الدين، ويعيش في كنف الحضارة المادية الزائلة، وإن مجتمعه جاهلي بكل تصرفاته، مع استعراض أمثلة من التاريخ الجيد والسلف الصالح، ومن الآيات والأحاديث، والواقع المبتعد عن الماضي الخيري... وغيرها من الأفكار التي تبغي التشكيك في الفكر والمجتمع كمقدمة للتالي.
- الهدم والبناء: في حال بدأ المستهدَف يسأل المرسِل كثيرا، وهو في حالة خضوع للسهام التي أصابته، يبدأ بالانفصال شيئا فشيئا عن بيئته المحيطة به، فيتحول التشكيك القادم من المرسِل الى هدم لأفكار البسيطة أو المتواضعة التي كان يحملها المستهدَف لخلل في الأسرة أو المجتمع أو ذات الشخص، ويتجه نحو من أبدى اهتماما تجاه، فيبدأ يتقبل الافكار الجديدة المتطرفة، ما يعني أن عملية الهدم المنظم في عقله وأفكاره قد تمت، لا سيما والاستخدام الكثير لقاعدة البيانات عنده (العقل التقليدي النقلي المؤمن بالعلو والتاريخ الجيد وخير أمة...) عبر الفتاوى المتطرفة التي تلوي عنق الحقائق، وتكذب على الاسلام (انظر كتب الشيخ سيد امام الشريف الذي ينقض الفكر المتطرف للجماعات الاسلاموية، ومنه كتابه المسمى "ترشيد الجهاد"، رغم أنه كان قائدا لتنظيم متطرف حتى العام 1993م).

- الوعد: وهنا تتشابك تفسيرات مضللة للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة مع خيالات وأوهام وخرافات خالطت العديد من المرويات في الكتب الاسلامية سواء السنية أو الشيعية. فترى مفاهيم خيالية عن الخلافة والمهدي المنتظر والشريعة والسيف والجاهلية ومفهوم الأعداء وإقامة الشريعة والجنة والحوريات التي تخرج الانسان الى مربع المتلقي السلبي بعد ان استطاعوا (غسل دماغه) بعملية التشكيك المركّز ثم الهدم ليأتي الدور بالوعد بالجنة الموعودة سواء بالأرض أو السماء أو كلاهما عبر الانضمام لهم (للتنظيم المتطرف) وكأنهم هم الوسيلة أو الطائرة التي سيحلق بها وصولا للجنة.

ونحن في المقابل كمؤسسات وأطر وأشخاص من الممكن أن نتعامل بعد الفهم والتدبر من خلال 3 مكونات هي:

- التثبيت: من خلال السراطية (=الاستراتيجية) الروحية المثلة: بالحب والصفح واللطف والمعروف والقدوة، وأيضا عبر إقامة مستوى متقدم من الحوار المستند على مفهوم الأمة الوسط، ثم الدفع بالعقل التقليدي ليتعصرن، كما حصل مع الشيخ رفاعة الطهطاوي والشيخان محمد عبده وجمال الدين الافغاني عندما احتكوا بالثقافات الأخرى وعندما أشادوا بضرورة التصدي للجهل والفقر المعرفي بالعلم والثقافة والفهم الصحيح للدين والتراث، فلا نظل نركض خلف الشعوب لاهثين فلا نصل، ولذا لا بد من القضاء على الآخر الصليبي والوثني الذي يدمرنا.
- وتبني هذه الاستراتيجية يجب أن يحث عليه في كل المؤسسات والتنظيمات وفي الدولة وفي ذات الشخص ليكون خيارا متوافقا مع فهمنا المستنير للمجتمع والحضارة والدين.
- التثقيف: ولنا في ذلك 6 نقاط واضحة لن نفصلها وإنما سنذكر سريعا هي:

1. التوجه للنهل من نبع العلم والمعرفة في كافة الاتجاهات وهادينا بناء العقل من خلال حسن التفكير الذي قال فيه الامام الغزالي (أنا لا أخشى على

الانسان الذي يفكر وان ضل، لأنه سيعود الى الحق، ولكن اخشى على الانسان الذي لا يفكر وأن اهتدى لأنه سكون كالقشة في مهب الريح.

2. المباشرة بتعلم العلوم المفيدة للأمة، وبناء عقلية التجدد والمبادرة والايجابية والإبداع.
3. القراءة العميقة في كتب الأدب المختلفة للأدباء والمفكرين والشعوب وعدم الاقتصار على كتب التاريخ والموروثات التي تحوي الغث والسمين وتغلق العقل.
4. مشاهدة العروض الخيالية (السينمائية) والمسرح وحضور الندوات والأمسيات الثقافية والفنية والشعرية.
5. الاطلاع على فكر وثقافة وتاريخ وتطور الاقوام والشعوب الأخرى.
6. اشغال الوقت بما هو مفيد عقليا ورياضيا وروحيا إذ لا محيص عن قراءة القرآن الكريم وحسن تدبر آياته والرجوع للتفاسير مع التنقيح العقلي، وعدم الاعتماد على تخاريف قديمة.

ومهمة التثقيف تقع على عاتق الشخص كما تقع على عاتق الأجهزة والمؤسسات والإعلام والمثقفين والمدرسة والبيت...

في كتابه مذكرات شاهد للقرن يري المفكر الإسلامي المستنير مالك بن نبي أن أمية المتعلمين أخطر من أمية الجاهلين بالقراءة والكتابة، ففي هذا النوع من الأمية يتم اختزال وظيفة العلم في تحقق المكاسب الذاتية، بدل الإسهام في بناء المجتمع. وهذا ما يطلق عليه اسم: الأمية الحضارية.

ويري مالك بن نبي أن الأمي الحضاري هو: الصبي المزمن الذي يظل قاصرا عن المساهمة في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية

ويقول الإمام محمد الغزالي(أنا لا أخشى الشخص الذي يفكر ويضل، لأن عقله سيرده، أما المهتدي الذي لا يفكر فهو كالقشة في مهب الريح)

- العهد: والعهد أو العقد الاجتماعي يبدأ بعملية بترسيخ مفهوم (المواطنة) والمساواة للجميع في الوطن بغض النظر عن دينه أو قوميته أو طائفته، لذا يأتي ترسيخ احترام الدستور و القانون، وعادات المجتمع الحسنة في المقدمة، كما يأتي دور الدين بأنه حسن السير والسلوك (الدين المعاملة) و(الشريعة حيث تكون المصلحة) وبضرورة القيام بالعمل التطوعي لغرض إفادة الناس والمجتمع والبيئة، ولا غنى أيضا عن تحسين اتصالنا بأنفسنا ومع الله سبحانه ومع الآخر أي كان (وإنك لعلى خلق عظيم) وما ينتج عنه من حوار متواصل وقدرة على الاستيعاب لا تنقضي بل تتوسع مع الزمن.

والعهد قد يقطعه الشخص على نفسه فيحميها أو ترسخها التنظيمات أو كل مؤسسات الدولة معا.

ختاما :"قدم الفيل والقيد"

ونهي دراستنا بقصة "قدم الفيل والقيد"[1] لما لها من مغزى في موضعنا: حيث يقال أن ثريا جلب فيلا ليضعه في حديقة قصره، رابطاً قدم الفيل شديد القوة بكرة ثقيلة من الحديد. على مر أيام وأسابيع حاول الفيل تخليص قدمه من القيد، حتى يئس من الأمر وتوقف عن المحاولة، الى أن جاء يوم أبدل فيه صاحب القصر كرة الحديد بكرة من الخشب – لو كان للفيل صاحبنا أصابع لهشم هذه الكرة الخشبية بأصبعه الصغير – وفي يوم سأل سائل (صديق) صاحب القصر، كيف لا يحاول الفيل تحطيم الكرة وتخليص نفسه من الأسر، فرد عليه صاحب الفيل: "إن هذا الفيل قوي جدًا، وهو يستطيع تخليص نفسه من القيد بمنتهى السهولة، لكن أنا وأنت نعلم ذلك، لكن الأهم هو أن الفيل لا يعلم ذلك، ولا يعرف مدى قدراته الذاتية."!

(1) يروي المدرب ابراهيم الفقي القصة / التجربة في كتاب (قوة التحكم في الذات).

الفيل صديقنا يعاني منا نسميه البرمجة السلبية، لقد غدا غير واثقًا في قدراته الذاتية، مثله مثلنا جميعًا، لكن البشرى هي أننا نستطيع تغيير كل ذلك، وهذا التغيير يجب أن يبدأ بخطوة أولى، هذه الخطوة هي أن نقرر التغيير. أي تغيير في حياة كل منا إنما يحدث أولاً في داخلنا، في الطريقة التي نفكر بها.

نماذج من استراتيجيات المواجهة الأخرى

أولا: كيف نقاوم الإحباط فينا وكيف ننجو من الأفكار السلبية الهدامة التي تعرقل أفكارنا وطموحنا؟[1]

1- مقاومة الأشخاص الكئيبين والسلبيين وكذلك الأخبار والجرائد التي لا تنقل إلا الخبر السيء والمحبط لأنه لا شيء سيفوتنا ولن تتغير الأحداث إن نحن غفلنا عنها وتجاهلناها.

2- إختر أصدقاءك بعنايه وإحرص أن تكون شلتك من الناجحين والإجابيين الذين تسبق تفاؤلهم على تشاؤمهم.

3- أنت سيد أفكارك ومصيرك، فعلى هذا الأساس ضع لنفسك مناعه ضد المؤثرات السلبيه بأن تستمع إليها دون أن تنصت لها أو تعطيها أهميه أو تتأثر بها.

4- توقف عن تخيلك بأنك مصاب بالأمراض ولا داعي أن تتوقع المشاكل من شيء لم يحدث بعد، لأنك ستجدها أمامك أكيد إن لم تتوقف عن التفكير بها.

5- لا تأخذ كل ما يقوله الآخرين فيك على أنه قول لا رجعة فيه، لأن كل الإنتقادات والآراء هذه سوى سلع رخيصه فلا تعطيها بالا.

وفي النهايه دعونا ننفذ هذه الشروط حتى نسعد.

---

(1) استحسنا الاستراتيجية (السراطية) هذه فأوردناها من الموقع المرفق
http://blogg2013.blogspot.com/2013/03/blog-post_425.html

في حياتنا بنمو أفكارنا وسمو طموحنا وحتى نورثها مستقبلا لأبنائنا ونمحو شيء إسمه الإحباط.

ثانيا: نموذج الإشراق، والسعة مقابل الضيق

من الممكن أن نرى الاشراق من خلال قيم السعة مقابل قيم الضيق في الاسلام في النقاط التالية:

1) الحب والسعادة: إذ:ان الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه، والرسول يؤكد أن تحب لاخيك ما تحب لنفسك، والإسلام يدعو للتحابب في الله، ويمكننا النظر في الحب في الله لدى شيوخ الاسلام وخاصة الصوفية.

2) الرحابة – النابلسي / الكافر – حرمة الدم / الايمان فردي.

3) الوسطية – أمة وسطا لا تطرف ولا تهاون بل تمسك محمود.

4) التسامح – خاطبهم الجاهلون سلاحا / لتعارفوا.

5) الصفح والغفران – وإذا ما غضبوا هم يغفرون/ فاصفح الصفح جميل.

6) التناصح – اصبروا وصابرو الموعظة الحسنة.

7) سراجا منيرا.

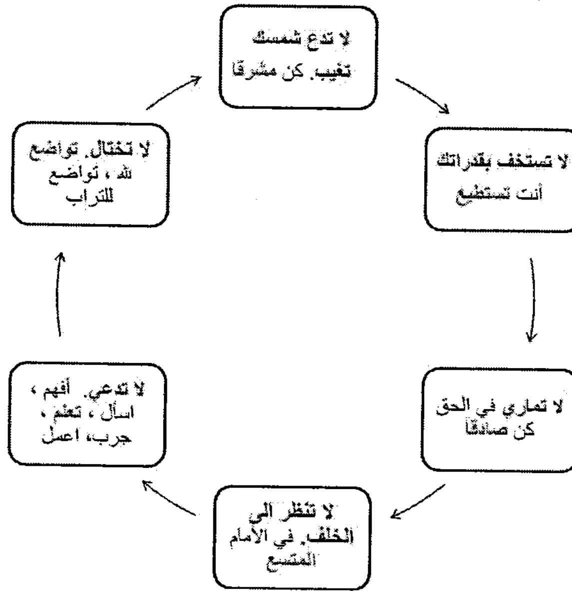
8) البيئة – ان من شيء إلا يسبح بحمده.

9) إدامة التفكير والتأمل.

ويمكن الاشارة أيضا لنموذج الاشراق بتجاوز 6 محاذير وفق الشكل المرفق للفرد

الاشراق بالتجاوز لستة محاذير

بكر أبوبكر



ثالثا: كيف يتعامل الجهاز الأمني مع المتطرفين

وأيضا سنجمل ذلك في 3 أمور رئيسة:

أولها رصد التغيرات: مثل ملاحظة الانعزال المفاجئ، أو الانطواء للشخص أو المجموعة على ذاتها، أو تغيير اللبس، أو طبيعة استخدام المفردات، وطبيعة

المواقع الالكترونية التي يزورها ونوعية الاصدقاء... أي التدقيق فيما طرأ على الشخصية من تغيرات.

وثانيها: الحوار، ورغم أن كثير من الاجراءات القانونية والعقابية قد تكون ضرورية لكنها لا تنهي الظاهرة ابدا ولنا في ذلك عشرات الامثلة، لذا لا بديل عن فتح الحوار.

أما ثالثا: طلب المساعدة، فلربما لا يستطيع المحاوِر ان يجاري المتطرف المحتمل، وهنا يقع تدخل الأهل أو رجال الدين المتنورين أو المفكرين أو الأصدقاء أو أي مؤسسة أو تنظيم له دور في المجتمع....

ولنا في التجربة الاوربية في مقابل التيارات المتطرفة ونموها النقاط التالية كما يوردها مركز العربية للدراسات تحت عنوان السياسات "الوقائية":[1]

ونتيجة للتهديدات التي تواجه الدول الأوروبية جراء تزايد أعداد الجاهدين المنضمين لداعش من ناحية، وتمدد خطرهم على المجتمع الاوروبي من ناحية أخرى، فقد انتهجت بعض الدول سواء منفردة أو بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي عدة سياسات لمحاولة تقويض انتشار تلك الظاهرة، ومن أبرز تلك السياسات:

1- مصادرة جوازات السفر: فقد أعلن رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون عن خطط لمكافحة الإرهاب، تساعد الشرطة في مصادرة جوازات من يُشتبه بأنه من المقاتلين الإسلاميين، وتشدد إجراءات السفر جوًّا، وتفرض قيودًا على حركة المتطرفين المشتبه فيهم، خاصة بعد أن رفعت بريطانيا حالة التأهب إلى "خطرة". وأكد كاميرون أن البريطانيين الذين قاتلوا مع "داعش" لن يُسمح لهم بالعودة مرة أخرى، مضيفًا أنه سيتم منع المشتبه فيهم من السفر للقتال في صفوف "داعش".واقترحت هولندا أخيرا

(1) معهد العربية للدراسات، ريهام مقبل، الدراسة السابقة.

تعديل قوانين الجنسية الخاصة بها، بما يمكنها من سحب الجنسية الهولندية حال قيام أحد مواطنيها بالتطوع للانضمام إلى صفوف إحدى المنظمات الإرهابية.

ورغم التهديدات التي يمثِّلُها الجهاديون العائدون من سوريا، فإن المهمة الصعبة التي يجب على الحكومات الغربية إنجازها، هي إيجاد توازن بين اتخاذ إجراءات وقائية والحرص على عدم تنفير الجاليات المسلمة.

وفي إطار الاتحاد الأوروبي، تمت الموافقة على سلسلة تدابير خلال اجتماع عمل عُقِد في 8 يوليو بين وزراء داخلية تسع دول، هي بلجيكا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا وإسبانيا وإيطاليا والدنمارك والسويد وهولندا، وأعلنوا أنهم سيتخذون تدابير وقائية في أكتوبر ومنها؛ كشف الشبان المستعدين للتوجه إلى سورية، وعرقلة سفرهم ومراقبتهم لدى عودتهم، وحتى اعتقالهم إذا كانت هناك ضرورة. وتسهيل تبادل المعلومات عبر نظام "شنغن".

2-التشديد الإلكتروني: تراقب بريطانيا مواطنيها على وسائل التواصل الاجتماعي في جزء من استراتيجيتها لمكافحة الإرهاب. ففي بلجيكا أعلن وزير الداخلية "جويل ميلكيه" عن تشديد المراقبة على أجهزة الحاسوب والهواتف الجوّالة والأجهزة اللوحية. وقامت وحدة مكافحة الإرهاب التي ترصد الشابكة (=الإنترنت) والمواد المتطرفة العنيفة على الشابكة في بريطانيا بإزالة نحو 1100 مادة ينتهك محتواها تشريعات مكافحة الإرهاب، من بين تلك المواد التي جرى إزالتها نحو 800 مادة لها صلة بسوريا أو بالعراق. ولكن، قد تواجه هذه الدول مشكلات خاصة بصعوبة حظر مواقع التواصل الاجتماعي، لأن الرسائل تنتشر بشكل واسع وفي زمن قياسي، وحيث يمكن لأشخاص خارج الأراضي الأوروبية أن يقومون بنشرها.

3-برامج معارضة التطرف "de-radicalisation": تلجأ الحكومات أيضًا إلى الأئمة المعارضين للتطرف من أجل المساعدة على منع المسلمين من تبني أفكار متطرفة (=راديكالية) وإقناع من عادوا من أرض المعركة باعتناق أفكار معتدلة. وفي بريطانيا، بعد مقتل الصحفي "فولي"، دعا "قاري عاصم"، إمام مسجد مكة في ليدز،

المسلمين إلى «العمل مع أجهزة الاستخبارات والحكومة للتأكد من أن هذه السموم لا تصل إلى حدودنا». فقد جذب أحد مساجد "كارديف" الانتباه في يونيو عندما وردت تقارير بأن ثلاثة شباب منضمين إلى صفوف "داعش" كانوا من المترددين عليه بانتظام.

وهناك جهود أخرى على المستوى غير الرسمي، وهي مبادرات عبر الشابكة لتحدي الادعاءات التي تنشرها الجماعات المتشدِّدة، ومواقع ومؤسسات تقدم خطابات لمكافحة الإرهاب، وهناك أيضًا مشاريع تعليمية تسعى للتوعية بمخاطر التطرف والجهاد، ومنها فتوى على الإرهاب fatwa on terrorism، والذي يديره الدكتور طاهر القدري، وكذلك إسلام ضد التطرف Islam against extremism، وهناك Digital Disruption، وهي مبادرة تقدم دروسًا للشباب من سن 11-19 وتقديمهم مهارات خاصة لمواجهة التطرف.

ومع ذلك، لا يمكن الجزم بأن تلك الوسائل والبرامج قد تساعد في تخفيف حدة التطرف، لأنها تستهدف المراحل الأولية للتطرف، كما أن معظم هذه البرامج موجودة منذ أحداث 11 سبتمبر 2011 وما قبلها، وبالتالي لم تنجح في اقتلاع الإرهاب والتطرف من جذوره.

نموذج مصر والتطرف والإرهاب:

يقول السيد يسين في كراسه السابق ذكره (العقل الإرهابي والتطرف الإيديولوجي-تحليل ثقافي) حول التجربة الحكومية المصرية بالتعامل مع المتطرفين: لعل السؤال الرئيسي الذي ينبغي إثارته الآن هو كيف نواجه التطرف. هناك إجابة تقليدية تتمثل في استخدام الوسائل الأمنية والأدوات السياسية. وهو منهج في تقديرنا عقيم، لأنه ليس بالأمن وحده يجابه الإرهاب. وهناك إجابة أخرى نتبناها وتتمثل في منهج السياسة الثقافية الذي تقوم على أساس تحليل ثقافي عميق لظواهر التطرف والإرهاب.

ولو أردنا أن نعدد مفردات المنهج الأمني والسياسي - وهو منهج ضروري ولكنه ليس كافياً - لوجدناها تتمثل في عدد من الأساليب، من بينها سياسة تدمير شبكات التطرف والإرهاب من خلال أجهزة الأمن والقانون، وإثارة الانقسامات بين مختلف

الجماعات الإرهابية تحت شعار «فرق تسد»، وعزل العناصر المتطرفة وإعطاء المجال للعناصر المعتدلة حتى يسود خطابها في المجتمع، مع التركيز على الوسطية. ولعل أبرز هذه المفردات هو المواجهة العنيفة الحاسمة مع العناصر المتطرفة والإرهابية لاستئصالها من المجتمع.

ويقول: (إذا كان الإرهاب كظاهرة قد شهدته عديد من البلاد العربية منذ سنوات وفى مقدمتها مصر والجزائر والمغرب واليمن ولبنان، إلا أنه يمكن القول إن بعض هذه الدول قد نجحت في مواجهة هذا التحدي إلى حد كبير نتيجة إتباع سياسات أمنية فعالة، بالإضافة إلى صياغة عدد من التوجهات السياسية التي تقوم على تفكيك حالة الاحتقان الحادة بين الجماعات الإسلامية الإرهابية والدولة. وربما تصلح مصر نموذجاً لهذه الدول، والتي نجحت في القضاء على تحدي الإرهاب من ناحية، وإتباع سياسات فعالة في مجال الدفاع الاجتماعي، أدت بدورها إلى ممارسة الجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد لنوع من النقد الذاتي العلني، والذي انتهى باكتمال عملية المراجعات داخل هذين التنظيمين، ونشر هذه المراجعات في كتب ووثائق تم توزيعها على نطاق واسع، تعهدا فيها بنبذ العنف، وانتقدا كثيراً من الاجتهادات الدينية الخاطئة التي كانت تلوى عنق النصوص الدينية لكي تبرر الإرهاب والعنف، بل وتبيح قتل المسلمين واستحلال أموالهم. وتبع ذلك الإفراج عن مئات من المعتقلين الإسلاميين، وعودتهم مرة أخرى مواطنين إلى ساحة المجتمع يمارسون حياتهم العادية).

مضيفا أيضا أنه: (تأتي أهمية نجاح الدولة والمجتمع في هذه المواجهة مع الجماعات الإرهابية أنها لعبت دورا مهما في تكريس تحول الجماعات الإرهابية أو جنوحها إلى الواقعية. ولعل أبرز حالة يمكن في تصورنا القياس عليها هي الجماعة الإسلامية في مصر، والتي مثلت- بجانب تنظيم الجهاد- أشرس الجماعات المتطرفة إيديولوجيا، والتي مارست الإرهاب ضد الدولة والمجتمع على السواء).

ونموذج فشل تنظيم "الجماعة الإسلامية" وقبلها "جماعة المسلمين-التكفير والهجرة" وأيضا "الجهاد الاسلامي" في مصر، في أفكارهم وإقامة مجتمعهم او ما يسمونه "الخلافة

الإسلامية" أدى إلى أن (بادر قادة هذه الجماعة بإجراء مراجعات نقدية على مذاهبهم المتطرفة وطرق تأويلهم المنحرفة للنصوص الدينية. وأصدروا في هذا الاتجاه أربعة كتب من المراجعات بإشراف قادتهم، وأعلنوا فيها التوبة عما فعلوه. وبناء على ذلك أطلقت السلطات الأمنية- في حدود القانون - المئات من أعضاء هذه الجماعات، الذين قبلوا بالمراجعات، وعادوا مرة أخرى إلى المجتمع مواطنين عاديين، وإن كانت مازالت لديهم الرغبة في التجمع وهم خارج الأسوار، باعتبارهم جماعة واحدة لهم آراء سياسية يريدون التعبير عنها).

خامسا : مقترحات الوقاية من شيخ الأزهر جادالحق على جاد الحق[1]

1-إعادة صياغة مناهج الدراسة، والعناية بالدين

2-تأهيل طلاب الأزهر.

3-مواجهة المشكلات الاقتصادية.

4-الوضوح السياسي ودور الأحزاب، ونبذها التطرف والعنف والإرهاب، وأن يكف الاعلام عن تقديم ما يضر، ونبذ الفرقة.

5-علاج الخلل الإداري في أجهزة الدولةن والخدمات.

6-تطهير المجتمع ممن احترفوا المنكرات والفساد.

7-مواجهة التيارات الخارجية التي تبث العنف.

8-تمكين القضاء.

9-عدم السخرية من المتدينين.

10-مراجعة القوانين التي تمثل ظلما اجتماعيا.

11-استمداد التشريعات الاسلامية.

12-رعاية الأسرة.

13-الفتوى للمتخصصين فقط.

---

(1) الشيخ جاد الحق علي جاد الحق (1917 1996) شيخ الأزهر الأسبق

14-أن نحلل أسباب التطرف، ومواجهتها بالفكر والحوار.

من نماذج التطرف

سنضرب عن التطرف الإسلامي (وسبق أن ذكرنا أن التطرف لا يختص بدين أو طائفة أو قومية....) ونخصص هنا لأغراض الدراسة ثلاثة أمثلة

أولا:الخوارج (عمر بن عبد العزيز والخوارج مثالا)(1)

يورد العلامة ابن الجوزي: "بلغني أن ناسا من الحرورية (الخوارج) جمعوا بناحية من الموصل فكتبت إلى عمر بن عبد العزيز أعلمه بذلك فكتب إلي يأمرني أن أرسل إلي منهم رجالا من أهل الجدل وأعطهم رهنا وخذ منهم رهنا واحملهم على مراكب البريد إلي. ففعلت ذلك، فقدموا عليه، فلم يدع لهم حجة إلا كسرها فقالوا لسنا نجيبك حتى تكفر أهل بيتك، وتلعنهم وتتبرأ منهم. فقال عمر: إن الله لم يجعلني لعانا، ولكن إن أبقى أنا وأنتم فسوف أحملكم وإياهم على المحجة البيضاء. فأبوا أن يقبلوا ذلك منه فقال لهم عمر: إنه لا يسعكم في دينكم إلا الصدق. منذ كم دنتم بهذا الدين؟ قالوا: منذ كذا وكذا سنة. قال: فهل لعنتم فرعون وتبرأتم منه. قالوا: لا. قال: فكيف وسعكم تركه؟ ألا يسعني ترك أهل بيتي وقد كان فيهم المحسن والمسيء، والمصيب، والمخطئ؟ قالوا: قد بلغنا ما هاهنا"

ويقول ابن عبد البر: أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كتب إليه في الخوارج: إن كان من رأي القوم أن يسيحوا في الأرض من غير فساد على الأئمة ولا على أحد من أهل الذمة، ولا يتناولون أحدا، ولا قطع سبيل من سبل المسلمين فليذهبوا حيث شاءوا، وإن

---

(1) من الممكن أن نورد امثلة كثيرة على التسامح عكس التطرف في تاريخنا العربي الاسلامي من مثل قصة المخزومي والي مكة و زوجته، وابن القيم ومعلمه....الخ، مقابل استغلال الدين من قبل السلطان العثماني سليم الأول في مصر أو إدعاء حماس عام 2006 ثم حكومة مرسي في مصر عام 2012 أنهما حكومات ربانية.

كان رأيهم القتال فوالله لو أن أبكاري من ولدي خرجوا رغبة عن جماعة المسلمين لأرقت دماءهم ألتمس بذلك وجه الله والدار الآخرة [1]

ثانيا: نموذج (داعش) من بن لادن الى البغدادي.

من الممكن الاشارة للعوامل التي أنشأت التطرف بداية من البيئة المساعدة أوالمشجعة في السعودية، أو المهمشة للاسلامويين في مصر، أو البيئة الاستعمارية الاحتلالية في فلسطين، وكيف تلاقت الأنوية بعد العام 1978 لإثر احتلال الاتحاد السوفيتي لأفغانستان بين مدارس كل من بن لادن (السلفية التي تحولت على يديه لسلفية متطرفة=جهادية) والاخوان المسلمين ممثلين بعبدالله عزام الفلسطيني، وتنظيم الجهاد المصري بقيادة د.فضل الشريف وأيمن الظاهري وما نتج عن تلاقح الأفكار الثلاثة، وتقاطع المصالح حينها بين الغرب عامة والدول العربية، كما يمكن تبين كيف تصاعد التطرف في العراق مع الغزو الامريكي وتدخل أبومصعب الزرقاوي وصولا لأبي بكر البغدادي.

ثالثا: قصة أحمد ونار التطرف[2]

قصة احمد (طرابلسي) الابوين عمره ١٩ عاما سنة ثانية محاسبة في احدى جامعات سدني "-استراليا".

والده يعمل سائق سيارة أجرة وأمه ربة منزل، له ثلاثة أخوان أصغر منه ؛ والده غير متعلم ولغته الانجليزية ثقيلة، أما الأم فلا تجيد الانجليزية، ومستواها الثقافي بسيط جدا ؛ ومثل اغلب العائلات اللبنانية (والعربية) التي هاجرت هربا من الحرب في لبنان

---

(1) http://madrasato-mohammed.com /maowsoat_aqida_sunnah_02/pg.0017_028_htm

(2) وأنا بصدد إعداد هذه الورقة هاتفت صديق عزيز في استراليا وطلبت منه تزويدي بقصة أحد الذين تم غسل دماغهم واستدراجهم للالتحاق بالتنظيمات المتطرفة والارهابية في الشام (أو العراق) فهب مشكورا وأرسل لي هذه القصة التي تم معالجتها كما تقرأون، وبقي الكثير أمثالها في الدول الغربية، والعربية مما لم يعالج، فما العمل؟

يبقى التعلق بالوطن ضمن روابط دينية واجتماعية وسياسية مع بناء جدار بين أبناؤهم والمجتمع الاسترالي ليحافظوا على ثقافتهم ودينهم.

وأهم نقطة تعلم الدين واللغة العربية والتي لا تعلمها المدارس الحكومية الاسترالية، لكن يوجد مراكز كثيرة لتعليمها في فترات مسائية بالجوامع والمعاهد العربية ؛ هذا لمن لا يقدر على دفع الرسوم العالية في المدارس الخاصة الإسلامية.

وبكثير من الأسف يحلم الأبوين أن يتعلق أبناؤهم بالمساجد وصلاة الجماعة ؛ الا أن الاستزادة بحضور جلسات الذكر بعد الصلاة يفتح الباب لإقامة علاقات مع مشايخ وأفراد قد يكون لهم أهداف تتجاوز تعليم الدين.

في العام الحالي 2014: تم التسليط الضوء على أكثر من مسجد تستخدم جلسات الذكر للتغرير بالمراهقين وجعلهم يتمردون على أسلوب حياة أهليهم.

أم أحمد لاحظت ذلك على ابنها الذي بدأ يتذمر من سماع الموسيقى والأغاني العربية، كما أنه توقف عن التدريبات مع فريقه المحلي بلعبة كرة القدم الاسترالية "الفوتي" بسبب ان هناك بعض اللاعبين يشربون الكحول وغير مسلمين.

إضافة لبداية غيابه عن الجامعة وتفكيره الجدي بالعودة إلي طرابلس التي لا يعرفها الا من خلال زيارات متقطعة.

وكان سابقا يفضل عدم تكرار الزيارة إلي لبنان واعتبار نفسه استرالي ولا يمكن ان يندمج مع حياة لبنان.

أم أحمد استغربت كل هذه التصرفات اما والده فقال له افعل ما شئت ولكن الجامعة هي مستقبلك؟ بينما أحمد قرر الرحيل عن منزل الأسرة والسكن مع أصدقاء جدد: وبعد أسبوع قام والده بزيارته في سكنه الجديد وتفاجأ بأصدقاء احمد المتشددين واستقبالهم الباهت له سأل الوالد أبنه أحمد لماذا يتصرف أصدقائه بهذه الطريقة ؛ فقال أحمد: يا والدي أنت حليق اللحية وهذا لا يليق بالمسلم وهو تشبه بالملحدين!

غضب الوالد وصفع ابنه على وجهه وطلب منه العودة للمنزل فورا ؛ وضمن كلام أحمد الرافض لكل كلمة يقولها والده قال له سأعود إلي وطننا في دولة الإسلام عند خليفتنا ولن أعود لحياتك الفاسدة.

ويرد والده: أنا يا ابني عمري ما عملت الحرام ولا عمري طعميتك حرام وأنا هربت من موت الحرب ؛ الحرب مش لعبة الحرب وجع وموت كل ساعة.

خرج الوالد وتوجه إلي أحد المشايخ وشرح له أن ابنه مغرر به، ويريد المساعدة وفعلا ذهب الشيخ معه لكن لم يتم استقبالهم نهائيا في المنزل.

حاولت الأم زيارة ولدها في بيت أصدقائه ولكن رفض استقبالها هي أيضا؛ فتوجهت لمخفر الشرطة وقالتها احبسوه بس ما يطلع على سوريا أنا ابني أنضحك عليه

ولكن المسألة احتاجت محامي وسرد أدلة عن التغيير المفاجئ بحياته ؛ ثم حاولت الشرطة الا انه كان يرفض كل شيء وكان بطريقة للمطار قبل إصدار الحكم النهائي بقضيته.

ولكن أمه التي وقفت بنص المطار وافتعلت مشكلة معه وانه ضربها وتم حجزه ثم التحقيق معه، ثم كان قرار المحكمة أنه تعرض لغسيل دماغ مبرمج وهو شخص خطير جدا على المجتمع وهو بحاجة لعلاج نفسي واجتماعي وممنوع من زيارة الأهل خلال العامين القادمين.

أم أحمد تقول ابنها رح يرجع مثل ما كان وأحسن "بس شو على باقي الشباب اللي ما إلحقناهن"؟

نماذج من ردودنا على المتطرفين[1]

ان استنطقنا التاريخ البعيد؟ فكيف نستنطق التاريخ القريب وفيه الذين ذهبوا غدرا، سواء في أتون "الربيع العربي" أو في انقلاب غزة الدموي، وكيف سنبرر لأهاليهم؟! ولعموم الناس ؟! أم ندعي أنهم شهداء (حرب أهلية) أوهم شهداء (الكرسي) وشهداء (السلطة)؟! وكأن دماء الناس أصبحت بلا قيمة أو ثمن؟ وهي عند الله أعظم من حرمة الكعبة كما قال رسول الانسانية والبشرية جمعاء.

اذ يكفي تكفير شخص إرضاء لكرسي أو سلطة أو فتوى فاسدة، أو في أتون فتنة ليتم رميه جورا وزورا وعسفا بتهمة الكفر أو غيرها ليصبح دمه في عنق "المفتي بقتله" وليس لك الا أن ترى منظر البشاعة والارهاب القميء المتمثل بالقاء بريء من على سطح البناية من 6 سنوات في غزة، وما صاحب ذلك من أمثلة أخرى، وذاك الشبيه به الى حد التطابق من أيام قليلة في مصر؟! حيث رمي شابين من السطح أيضا؟ بفظاعة ووحشية لتكتشف معنى التعصب وتشويه العقل والى أين يأخذنا فكر التطرف.

وقد يتجاوز الأمر ذلك فنستجلب المقدسات والآيات والأحاديث المفصلة على قياسنا فقط، ونستخدمها برعونة (كما استخدمت لإدامة الفتن في تاريخ المسلمين وفرقهم الدينية) لنقول أنهم شهداء الفئة المؤمنة ضد الفئة الكافرة أو الضالة، أو من الموقع المخالف هم قتلى الفئة الضالة أوالكافرة التي رفضت " تمكين" المؤمنين الصائمين القانتين الركع السجود؟! تمكينهم؟! من ماذا ؟ أمن الدعوة الى الله؟! أم من لطف السعي لمرضاته؟ أم من محبة الناس ونصحهم؟ لا وكلا، وانما من "تمكينهم" كأشخاص وجماعات وأحزاب من السلطة والهيلمان والكرسي، وما ذاك من الاسلام بشيء.

كفى عبثاً، وكفى استغفالاً للجماهير، وكفى غلوا وادعاء، فالكل مسلم والكل معلقة أعماله برقبته لوحده عند الله عز وجل مساءل لوحده، ويدخل الجنة أو النار

---

(1) يمكن الرجوع لموقع الكاتب والمفكر بكر أبوبكر على الشابكة، أو لعدد من ملفاته وكتبه ودراساته التي تجاوزت الـ80 في المواقع المدرجة لديكم هنا www.bakerabubaker.info
, http://www.slideshare.net/bakerabubaker, http://ar.scribd.com/bakerabubaker

لوحده لا يستطيع أن يصطحب حزبه أو تنظيمه أو جماعته (أو حتى أمه أو ولده أو زوجه...) معه الى الجنة أو جهنم، فكفى تفريقاً للأمة وتنزيها للذات والنفس، وركوبا على رقاب العباد لعبادة (الكرسي) أو (السلطة) أو الهيلمان أو النفوذ.

أليست الدار الآخرة دار القرار وهي هدف المؤمنين عامة والمسلمين؟ وبالتالي هي هدف الأفراد جميعا (كل لوحده) سواء أنتموا لأي من التنظيمات السياسية وغير السياسية أولم ينتموا ؟! فكيف يكون المعبر للآخرة بقسمة الشعب وإذلال الناس والتفريق بينهم وادعاء عصمة فريق أو حزب يطأ درج الجنة متكبرا على الحق منذ الآن؟!... هذا مسلم وهذا نصف مسلم وذاك منافق والآخر كافر، وكأن ختم الاسلام قد لزم جيب هذا الفصيل أو ذاك الشخص ما لا يستقيم.

لقد أعزنا الله بالإسلام الحنيف وأمرنا بنقض بيعة أي مستبد (= ديكتاتور) كاذب أومستغل أو ظالم أو ناكث لوعوده أولا يخدم شعبه فلا ينفع الناس، فلا عبودية إلا الله وحده لا شريك له لا في الأرض ولا في السماء، هذا الايمان والحب الذي يحرّر كل شخص من عبادة الأفراد مهما ظنوا بأنفسهم (وربما تنظيمهم معهم) الصلاح أوالقداسة أو النزاهة أوالزعامة أو العلوّ، وينقلهم الى سمو ولطف وثنائية العلاقة مع الخالق وحده.

كيف يغيّب العقل في مصر لينزل جبريل عليه السلام انتصارا لشخص أي كان؟ وكيف يغيّب العقل ليقوم الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بدعوة شخص (الرئيس مرسي) ليؤم الناس بالصلاة، حاشا لله وحاشا للرسول ؟! وكيف وكيف وكيف من عمليات غسيل دماغ واستحمار للشعب يقوم بها البعض من المتشددين على فرضية أن أوهامهم وحي مقدس وأحلامهم واجبة التصديق وهراءاتهم قرارات مقدسة، وأقوالهم تغض النظر عن أفعالهم، وطول لحاهم مفتاح الجنة؟

في الاتجاه المقابل نرى من (العلمانويين) مقابل (الاسلامويين) من يستغل كل فرصة أو ساعة للتعريض أو النقد ليس بالشخص أو الجماعة أو الموقف، وإنما (بالإسلام) ذاته عبر تعمد رفض كل ما ينبثق عنه من أفكار واجتهادات وآراء وأفق حضاري رحب، بادعاءات الرجعية ومخالفة الزمان والماضوية، وباسقاط فكر التعصب

والتطرف وفكر الغلو والمشاحنة على كل المسلمين أو على كل تيارات وجماعات وأحزاب المسلمين، ما لا نقره أو نقبله أبدا، وما هو افتراء وتعمد لضرب الاسلام لذاته كدين وليس نقدا لمسيرة حزب أورأي أو شخص.

إن طرفي التشدد أي في التيارات (الاسلاموية) بفكرها المتشدد وتلك (العلمانوية) يمكن أن تمثلا أقصى اليمين وأقصى اليسار في الفكر السياسي في المجتمعات العربية والاسلامية، وهذه التيارات المتشددة اليوم تظهر "كأنها تطغى وتنتصر" فتكسر عنق منهج الوسطية والاعتدال -ما تميزت به الحضارة العربية الاسلامية- وتقود هذا الفكر الوسطي الى مهاوي الردى، فلا يبقى في فضائنا الاسلامي الرحب الا الظلام والظلاميين فتختفي المحبة والتلطف والسماحة.[1]

إن الوقوف لبرهة يجعلنا نتفكر كما أمرنا الله تماما، أن نتفكر في كل شيء، في آلائه وفي الخلق والمخلوقات وفي مآلات الأشياء والمواقف ونوائب الدهر، وفي معنى الاستخلاف والعبادة....الخ، ما يجعلنا نقفز حكماً الى القول (أنتم أعلم بأمور دنياكم) في استشفاف لإدراكات ملهم العالم ملهم البشرية جمعاء ملهم الأمة النبي الأمين عليه الصلاة والسلام لمقتضيات التغيّر والتبدّل والتطور في الشأن الانساني في كل عصر وأوان، ما اخذ به علماء المسلمين، ولم يجمدوا أو يتصلبوا عند حدود فكرة أو فتوى أو رأى شكلّه عصره أو مناخه، ما تعود الآن بعض التيارات المتشددة لاستدعائه كما هو مخالفين شرع الله وسنة التغير في خلقه.

---

(1) تقول د.اقبال الغربي (أن العقل معطى تاريخي يتطور وينمو في علاقة جدلية مع المحيط. وقد أثبتت الدراسات السكوإجتماعية التي قامت بها مدرسة جينيف والتي تتعلق بالبناء الاجتماعي للذكاء أن القدرات العقلية للفرد لا يمكنها أن تتطور إلا مع الآخر المختلف أي في ظل الصراعات المعرفية التي تشكل المجال الأفضل للتطور لذهني والمعرفي. ومعنى ذلك أن التفاعل الاجتماعي يمكن الفرد من بناء أدوات ذهنية جديدة تساعده على مزيد المشاركة في تفاعلات اجتماعية أكثر تطورا وأكثر تعقيدا وهو ما يسمى بالسببية اللولبية).

مر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة على قوم يؤبرون النخل - أي يلقحونه - فقال: "لو لم يفعلوا لصلح له" فامتنع القوم عن تلقيح النخل في ذلك العام ظناً منهم أن ذلك من أمر الوحي، فلم ينتج النخل إلا شيصاً (أي بلحاً غير ملقح، وهو مر لا يؤكل) فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة سأل عما حدث له فقالوا: "قلت كذا وكذا.." قال: "أنتم أعلم بأمور دنياكم" عن عائشة وعن ثابت وعن أنس: وفي صحيح مسلم عن موسى بن طلحة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما أظن يغني ذلك شيئاً".. ثم قال: "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه. فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن. ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به".

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في شؤون الناس والدنيا المتغيرة كما الحديث أعلاه (إن كان ينفعهم) أي ترك لهم حسن التقدير والاختلاف والاجتهاد والتعدد في الرأي، وتقدير المنفعة في سياقات مقاصد الشريعة ما هو أمر سياسي جماهيري مضيفا (فليصنعوه) حسب تقديرهم هم، وقال أنه (ظنّ) وتلطفه عليه السلام ومحبته وتواضعه الجم أن أكمل بالقول (فلا تؤاخذوني بالظن).... يا الله ما أجمل هذا القول وأصدقه وألطفه، أفلا نقتدي؟!

إن الاستدعاءات التأملية من واقع الوضع العربي المرير، وفي مصر اليوم خاصة والذي سبقه واقع مرير حصل في غزة، ومناطق كثيرة في بلاد العرب والمسلمين اليوم في سوريا وليبيا واليمن والسودان ولا نستثني أبدا....يجعلنا نتفكر ونفهم المقصد الالهي بشدة تحريم الدم (القتل) وبالتالي التكفير والتخوين، ويجعلنا ندرك أهمية عصمة الدماء ومنطق (الحب) الالهي الذي يجمع المؤتلفين والمختلفين، معا فلا نتوه ولا نتجمد ولا نتحيز ولا نتعصب الا لله ورسوله وفكر الحب والسماحة والتلطف والتقبل، لا لحزب أو جماعة ولا لفئة ولا لمعبود الا الله، في ظل اختلافنا المقبول في شأن الناس وما يصلح أمور دنياهم.

إن مجري التفكّرهذا يقودنا لضرورة القول بأهمية انطلاق المبادرة عربيا والمبادرة فلسطينيا بلم الشمل، والوحدة الوطنية، واستعادة المكسور في النفس والفكر والروح،

وتوقيع ميثاق شرف وتحريم وتجريم أشياء فظيعة منها التخوين والتكفير والقتل والتأثيم، في ظل فكر حضاري عربي اسلامي رحب ومنفتح يضع الانسان المواطن وكرامته وحريته ورأيه الأصل في بناء المجتمع المدني التعددي، والتفرغ عربيا واسلاميا وفلسطينيا لمقارعة الاحتلال الذي له كل البهجة بما يحصل.

وكتبنا أيضا

تكمن عظمة الإسلام في محكم التنزيل ومدى النور والإشعاع الذي يشكل من خلاله سحابة ماطرة لكل أرض أعدت للزرع والأثمار، ومن هنا كانت الرسالة والمهمة والحقيقة والسراج المنير في دور الرسول تظهر في معظم الآيات الكريمة بجلاء وتظهر في الأدوار المطلوب من محمد عليه السلام أن يلعبها حيث قال فيه الله جل جلاله (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً – سبأ 28)، وقال القرآن المجيد الكثير في رسول القدوة الحسنة وصاحب الخلق العظيم (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً) (الاحزاب 45-46)، وقال (فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك.

فاعف عنهم

واستغفر لهم

وشاورهم بالأمر

فإذا عزمت فتوكل على الله

ان الله يحب المتوكلين) (آل عمران 159)

حيث يتموضع دور الرسول العظيم في هذه الآية بفضل الله ورحمته في مقام اللين والاعتدال والتقبل والتفهم للآخرين من أمته ليأمره وبشكل مباشر بما هو من أدواره وأخلاقه ومسلكه الذي يجب ان تقتدي به الأمة

حيث أنه بالعفو لا يحقد ولا يكره ولا يبغض، وفي مقام الاستغفار يغلّب التقارب والتقبل للآخرين وتفهمهم على استعدائهم أو تخوينهم أو تكفيرهم، لذا فهو مع علمه

بأخطائهم وحظاياهم مأمور بأن يستغفر لهم، لا أن ينتقم منهم أو يقتلهم أو يمثّل بهم، كما حصل في أماكن كثيرة ومنها في انقلاب غزة.

وهو في مقام حاجات الناس وسياستهم وحكمهم مأمور أيضا أن يتشاور معهم دون تحديد للأسلوب أو الشكل أو الطريقة مما يضع صور الحكم في نماذج عدة تفترض حتما تحقيق الحرية والعدالة والمساواة ومقاصد الشريعة في حفظ النفس والمال والعرض والدين والحرية.....

إن عظمة الإسلام وعظمة الرسول انه تعامل مع الثوابت في العقائد بوضوح وتحديد شديد، وان ترك للمخالفين عقائديا (من الأديان الأخرى) ان يحتفظوا بحق الاختلاف، والحياة في المجتمع المدني كما حصل في مجتمع المدينة المنورة وكما هو شأن مختلف القوميات والملل والنحل في الدول التي قامت على مر العصور..

كما وان الرسول الأعظم ترك لشؤون الدنيا والناس في مجتمع المسلمين حق الاختلاف الواسع والاجتهاد، لأن من يطلقون عليهم اسم الديمقراطيين أو الليبراليين أو حتى اليسار اليوم ليس لنا أن نشكك في إيمانهم حجما ومساحة ومدى فذلك رباط بينهم وبين الله، فهم مسلمون كافة لا يجوز تكفير أحد منهم مطلقاً الا من اختار الخروج من العقيدة والملة فهذا خياره (الديمقراطي)، حيث أن له أن يؤمن وله أن يكفر في اطار المواطنة في الدولة و في المجتمع المدني.

رجل الأمن وواجباته (1)

(1) يقول المفكر الاسلامي التركي (فتح الله كولن): ضمن إطار القانون على الموظفين أن يكونوا ليني الجانب عند تعاملهم مع الناس. وهكذا يقومون بالحفاظ على منزلتهم وعلى منزلة القانون والدولة أيضاً. فالقسوة الزائدة عن حدها في التعامل تولد انفجارات غير متوقعة. كما يجب الاّ

نحو الظلاميين والمخلين بالأمن	نحو المجتمع (أهله وجيرانه، وبلده)	نحو ذاته التحصين الذاتي
- الرصد والمتابعة. - حسن المعاملة. - تطبيق القانون بآليات تنفيذ منضبطة. - الاستعانة بالمجتمع ومؤسساته. - تجنب عمل أي اساءة للآخرين، والتحلي بالصبر وسعة الصدر. (وخالق الناس بخلق حسن) - ترك المخالفين للقانون يأخذ مجراه بنزاهة، وتركهم لذوي المشورة بالحوار من مفكرين وفقهاء ومختصين.	- الاختلاط بالناس من مختلف المشارب. - حسن الحوار والمعاملة. - الاستماع والاقتراب. - التعلم من الناس. - مدّ يد العون لطالبه بمحبة. - احترام النساء والأطفال وكبار السن. - عدم التنفير، عند القيام بأي عمل.	• بناء الذات بالتسامح وتعميق الصلة بالله والولاء للوطن. • القراءة العميقة في مختلف المجالات. • القيام بالنشاطات التي تخدم الناس. • الاحتكاك مع الطبيعة. • الاطلاع على أدبيات المفكرين المتنورين ومؤلفاتهم وتراثنا المتسامح. • حضور الندوات و المحاضرات. • الصلاة على وقتها وبحقها (تنهى...).

اختبار: مقياس التطرف

نحن مسلمون نؤمن بالاعتدال والتوسط ونبعد عن العنف والتطرف، نبغي نشر الخير والسلام والرحمة والمودة، هذا المقياس يعرفك مدى التعصب والتطرف لديك:

طريقة الاختبار

يغرب عن البال بأن اللين الزائد عن حده يؤدي إلى نتائج سلبية عند العديد من غير الناضجين، للاطلاع على موقعه.

/http://fgulen.com/ar

فيما يلي اختبار تعرف بعد الانتهاء منه مدى تعصبك وتطرفك ونزعتك الى العنف... وكل الذي عليك عمله هو قراءة الأسئلة التالية والإجابة على كل سؤال بأمانة مع نفسك باحدى الإجابات التالية:-

نعم، لا، لا أدري

وبعد انتهائك من الاجابة على الأسئلة ستحصل على تقييم لمدى تعصبك أو تطرفك

الأسئلة

1- أنا ضد كل ماهو أجنبي

2- أتجنب كل مايثير أعصابي

3- لا أرى في حياتي إلا الأبيض أو الأسود

4- أفقد أعصابي عندما أهزم في مباراة أو يُهزم فريقي الذي أشجعه

5- أتبنى أفكار معينة من الصعب الإقلاع عنها

6- لا أستطيع تحمل ماهو غامض وغير واضح

7- أشعر بالقلق والتوتر النفسي في معظم الأوقات

8- لا أستطيع تقدير ذاتي (الشعور بأهمية واحترام ودور الشخص في حياته)

9- أنا في خلاف دائمًا مع رئيسي في العمل و زملائي (أو الأساتذة في المدرسة/ الجامعة)

10- لا أحب التغيير

11- لا أجد صعوبة في داخلي عندما أتعامل مع من هو أعلى مني

12- لا أحاول أن استمر في حوار مع شخص يختلف معي

13- ألوم نفسي بشده اذا تفوق علي أحد

14- اذا كرهت شخص لا أحب أن أعامله مهما كانت الظروف

15- لا أستطيع أن أسامح الآخرين بسهولة

16- عند التحدث في السياسة يرتفع صوتي

17- انفعل لأقل الأسباب

18- قد أتهور عند الانفعال باللفظ أو بالضرب

19- لا أؤمن بنظرية الاعتدالية في كل شئ ولا أطيقها

20- أتعصب جدًا إلى الطبقة التي أنتمي إليها (القرية/ القبيلة/ الجماعة...)

21- استخدم الشدة والحزم في كل شئ في حياتي

22- أتفاخر بعائلتي وبنفسي

23- لا أستطيع تغيير مشاعري بسهولة

24- أتحدث دائمًا عن الشئ الذي أكرهه

25- لا أحب المجاملة حتى في الكلمات

النتائج

بما انك قد وصلت إلى هنا فانت تتلهف لمعرفة نتيجتك بهذا الاختبار

قم بوضع الدرجة 0 لكل سؤال اجبت عليه بـــ: لا

قم بوضع الدرجة 1 لكل سؤال اجبت عليه بـــ: لا أدري

قم بوضع الدرجة 2 لكل سؤال اجبت عليه بـــ: نعم

والان

***أن كان مجموع درجاتك لهذا الامتحان بين 1 و 29 فانت شخص معتدل.

**أما ان كانت نيجتك بين 30 و 50 فانت شخص متطرف

الأخصائي النفسي: رضا أحمد السيد موسى

ملحق:أسباب التطرف وخاصة المغالاة بالدين [1]

وهذه الأسباب على شكلها الوارد أدناه يدرجها د.عبد الله بن صالح كالتالي:

أولاً: قله التفقه في الدين:

" تجرأ بعض الناس علي إصدار الأحكام ـ خاصة في الأمـر العقديـة ـ مـن خـلال نظرتهم غير المتعمقة في بعـض الآيـات القرآنيـة، أو الأحـاديـث النبويـة دون علـم ببقيـة النصـوص المتصـلة بمنـاط الاستشـهاد، أو أخـذهم بالمتشـابهات وتـرك المحكمـات، أو بالجزئيات مع إغفال القواعد الكلية.[2]

ثانياً: الاستعلاء علي الغير بالعبادة:

قد يتخذ بعض الناس من عبادته سببا للاستعلاء علي غـيرة، وينظـر إلـيهم نظـرة فيها شيء من السخرية والتحقير

---

(1) الرابط السابق في موقع السراج (الاسلامي).

(2) قال الحسن البصري (إن قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم، حتى خرجوا بأسيافهم علـي أمـة محمـد صلي الله علية وسلم ولو طلبوا العلم لم يدلهم علي ما فعلوه).

ثالثاً: فقدان الثقة في بعض العلماء

لقد كان لبعض العلماء موقف من الحكام والحكم يتسم بالسلبية، ومهما كانت الأسباب التي كانت وراء هذه السلبية: فقد كان لها رد فعل علي الشباب أدى إلى عدم الثقة في أقوالهم فأخذ بعض الشباب يتجه إلى القرآن والسنة ليستقى منهما الأحكام مع عدم حصولهم علي المؤهلات التي تؤهلهم للاجتهاد

رابعاً: الاقتصار على القراءة في كتب معينه دون غيرها

مما يؤدى ألي التعصب الذي يعمى ويصم، مع أن كل إنسان يؤخذ من قولة ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم. والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.. فيجيب على المسلم أن يقرأ لجميع علماء الأمة حتى يستبين له الرأي و الرأي الأخر،ثم يتبع الرأي الذي يشهد له الدليل، هذا هو الأنصاف.

خامساً: منع حرية التدين:

منع حرية التدين، من الأسباب الرئيسية في انتشار الغلو والتطرف، لأن الناس فيهم تدين بالفطرة، حتى الفاسق منهم لا يرضى المساس بحرمة الدين. إن هذا المنع يتخذ طرقا ووسائل مختلفة

مضيفا: إن الفكر لا تقاوم إلا بالفكرة، واستخدام العنف وحده في مقاومتها قد لا يزيدها إلا توسعا، ولا يزيد أصحابها إلا إصرارا عليها. إنما تعالج بالإقناع والبيان إقامة الحجة وإزاحة الشبهات.

سادساً: اتباع الهوى:

فاتباع الهوى يصد عن الحق.. ويعمى ويصم.. قال تعالى: (أفرأيت من أتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقبله وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون). (لنا النظر فيما يقوله الشيخ سيد إمام الشريف أيقونة الجهاد في أفغانستان الذي عمل مراجعات فكرية عديدة كان من أبرز ما جاء فيها ذم الهوى هوى النفس لدى قادة الجماعات الاسلاموية التي كان هو منها في كتابه ترشيد الجهاد)

وسائل التجنيد في أوربا[1]

1- التجنيد الإلكتروني:

وذلك بالاعتماد على عدة وسائل، ومنها مقاطع شرائط (اليوتيوب)، حيث استخدمت "داعش" الـ"يوتيوب" من أجل نشر المرئي (=الفيديو) الذي يصور ذبح الصحافي الأميركي "جيمس فولي" والصحافي "ستيفن سوتلوف"، التي كانت الأشد قسوة، والتي شغلت اهتمام الأجهزة الأمنية الغربية. ويمثل، على سبيل المثال، موقع Salafi media UK، أرضية لشبكات المهاجرين، وفي يناير 2014م، وصل متابعو قنواتهم على اليوتيوب إلى 2,281.

وهناك "الناشرون الجدد"، ويُعَدُّ ناصر بلوشي مصدر الإلهام الأساسي لشبكات المقاتلين الأجانب في سوريا، الذين يعملون على تجنيد المقاتلين عبر الشابكة=الإنترنت، فعلى سبيل المثال تأثر بأفكار ناصر البلوشي هذا الشهر 2.690 من المتابعين له على موقع "تويتر"؛ حيث نشر تغريدات مكتوبة بالإنجليزية، و يعتمدون على تغريداتهم لإلقاء نظرة عامة على الجهاد.

وهناك شخصية أخرى معروفة هو أحمد موسى جبريل، وهو مسلم من أصل أمريكي، و 60٪ من المجاهدين يتابعونه عبر صفحته الشخصية على تويتر، ومتابعوه على صفحة الفيس بوك وصلوا إلى 200,000، ولديه قناة على اليوتيوب. ويقدم كل من تويتر والفيس بوك، عن غير قصد، توصيات لغيرهم من الأفراد الذين يتبنون الفكر ذاته، وبالرغم من ذلك فإن هناك جماعات تناهض استخدام الفيس بوك مثل "المهاجرون".

وهناك أيضًا المواقع الرسمية؛ مثل موقع "أنصار الحق" الفرنسي، الذي يحتوي على خطوات بسيطة لكيفية اعتناق الإسلام وتتبع التعاليم الدينية، ويجذب الموقع المتطرفين من خلال مقالات، وفيديوهات، ويعتبر هذا الموقع الوجهة للجهاديين الفرنسيين. وهناك المنتديات وغرف الشات، التي ما زالت تستخدم كآلية للنقاش بين المتطرفين، باللغة

(1)معهد العربية للدراسات، ريهام مقبل

الإنجليزية والفرنسية، ومثال على ذلك مركز الفجر الإعلامي، وكذلك ummah.com ومن ثمَّ يتبين أن وسائل الإعلام الاجتماعي مثل (فيسبوك وتويتر) تسهم في نشر الأيديولوجيات المتطرفة، وتجنيد المقاتلين، وجمع الأموال للجماعات المتشددة.

2- **علماء الدين والمدارس:**

برغم أن الأغلبية العظمى من المساجد لا تعيِّن أئمة متطرفين، فإنها تعتبر "حاضنة "Hub" للمتطرفين والجهاديين، فهي وسيلة للتعرف على بعضهم ونشر أفكارهم. وقد كان هناك مسجد بريطاني يدعى Finsbury Park Mosque"، هو مثالٌ على التطرف الإسلامي؛ حيث استخدم في أواخر التسعينيات لاستقطاب جهاديين لأفغانستان، الذي قاده حينها الإرهابيان أبو حمزة وأبو قتادة. وهناك مسجد دنماركي يدعى Aarhus Mosque Grimhøjmoskeen، أعلن دعمه لداعش في 2 سبتمبر 2014م

فهناك مدارس سلفية عديدة في أوروبا خاصة في بريطانيا وفرنسا، حيث ينشر هؤلاء أفكارًا معادية للغرب، ويتحدثون في بعض الأحوال بلسان "داعش". ووفقًا لتقرير صدر من الصحيفة الألمانية BIRD، فقد أشارت إلى وجود مدارس إسلامية متطرفة في المدارس الابتدائية والثانوية في مدينة هامبورج، وهي ثاني أكبر مدينة في المانيا، فهناك على الأقل 25 مدرسة ينتمون إلى الفكر السلفي والجماعات الإسلامية الأخرى المحافظة، وذكر التقرير أن هناك سبعَ مدارس على الأقل تشن حربًا دينية ضد المدرِّسين وزملاء الدراسة غير المسلمين في شتى أنحاء المدينة.

ولكن في ظل الاهتمام بمواقع التواصل الاجتماعي، والتي أصبح تأثيرها "ممتد"، تزايدت الشكوك بأن المساجد ومعسكرات التدريب والمدارس أصبحت تحتل المركز الثاني في تجنيد الراغبين في السفر للانضمام إلى الجهاديين في سوريا والعراق.

3- **السجون الأوروبية:**

فتواجد المتطرفين والإرهابيين في السجون، يساعد على نشر أفكارهم، فكانت هناك شخصيات جهادية معروفة مثل ريتشارد ريد عام 2001م، ومختار سعيد إبراهيم 2005م في بريطانيا، وقد ساعد وجود هؤلاء في السجون على اعتناق عدد لا بأس به

الإسلام. وبرغم أن عدد المسلمين في بريطانيا يشكل نحو 4٪ من عدد السكان، غير أنهم يمثلون نحو 13,1٪ من إجمالي المسجونين، ويشكل المسلمون الفرنسيون في السجون نحو 53٪. وظهرت بعض المبادرات لمنع نشر أفكار الجاهدين والمتطرفين. ففي بريطانيا، يساعد برنامج "Ibaana"، على مواجهة المتطرفين، عن طريق استقطاب مسلمين داخل السجون لمواجهة أفكارهم المتطرفة، وشرعت بريطانيا في تطبيق هذا البرنامج منذ أبريل 2013م.

ومع ذلك، مازال تأثير السجون "محدوداً"، خاصة في ظل تسارع وتيرة الأزمة في سوريا والعراق، فليس معقول الانتظار لحين خروج هؤلاء من السجون حتى ينجحوا في جذب العديد إليهم، كما أن العديد من الدراسات النفسية تشير إلى أن بعض المسجونين حينما يخرجون من السجون يقررون عدم الانخراط في الانشطة الارهابية أو المتطرفة مرة ثانية.

ونقول نحن إذا كان هذا في أوربا فما بالك في مجتمعنا العربي المسلم حيث المتطرفين منتشرون في كل زاوية وحارة وتجدهم يسربون دعاويهم وفق مقتضى الحال في المساجد والمدارس والجامعات مستندين كما أسلفنا للبيئة الحاضنة من جهة ولرسوخ العقل التقليدي مكان العقل الناقد أو العصري ولانغلاق الفكر الذي تكرسه هذه الجماعات وطريقة تفكيرها وتعبئتها

نظرية القرود الخمسة

(أحضر خمسة قرود وضعها في قفص، وعلق في منتصف القفص حزمة موز، وضع تحتها سلّماً، بعد مدة قصيرة ستجد أن قرداً من المجموعة سيعتلي السلم محاولاً الوصول إلى الموز، ما أن يضع يده على الموز، أطلق رشاشاً من الماء البارد على القردة الأربعة الباقين وأرعبهم، بعد قليل سيحاول قردٌ آخر أن يعتلي نفس السلم ليصل إلى الموز، كرر نفس العملية، رش القردة الباقين بالماء البارد. كرر العملية أكثر من مرة، بعد فترة ستجد أنه ما أن يحاول أي قرد أن يعتلي السلم إلا وستمنعه المجموعة خوفاً من الماء البارد. الآن أبعد الماء، وأخرج قرداً من الخمسة من القفص، وضع مكانه قرداً جديداً،

فلنسمه "سعدان"، لم يعاصر ولم يشاهد رش الماء البارد، سرعان ما سيذهب "سعدان" إلى السلم لقطف الموز، حينها ستهب مجموعة القردة المرعوبة من الماء لمنعه، وستهاجمه. بعد أكثر من محاولة، سيتعلم "سعدان" أنه إن حاول قطف الموز فسينال "علقة قرداتية" من باقي المجموعة. الآن أخرج قرداً آخر من الذين عاصروا رش الماء -غير "سعدان" طبعاً- وأدخل قرداً جديداً، ستجد أن نفس المشهد السابق سيتكرر، القرد الجديد يذهب إلى الموز، والقردة الباقية تنهال عليه ضرباً لمنعه، بما فيهم "سعدان"، على الرغم من أنه لم يعاصر رش الماء، ولا يدري لماذا ضربوه في السابق، كل ما هنالك أنَّه تعلم أن لمسَ الموز يعني "علقة"، لذلك ستجده يشارك ربما بحماس أكثر من غيره بكيل اللكمات والصفعات للقرد الجديد، ربما تعويضاً عن حرقة قلبه حين ضربوه هو أيضاً. استمر بتكرار نفس العملية، أخرج قرداً ممن عاصروا رش الماء، وضع قرداً جديداً، وسيتكرر نفس المشهد. كرر هذا الأمر إلى أن تستبدل كل المجموعة التي تعرضت لرش الماء. في النهاية ستجد أن القردة ستستمر تنهال ضرباً على كل من يجرؤ على الاقتراب من السلم، لماذا؟ لا أحد منهم يدري، لكن هذا ما وجدت المجموعة نفسها عليه منذ أن جاءت!!).

تعلق الكاتبة الأردنية لبنى شرف[1] على التجربة السابقة (يقولون أن هذه القصة من دروس علم الإدارة الحديثة!! حتى ينظر كل واحد إلى عمله، ليرى كم من القوانين والإجراءات تطبق بنفس الطريقة والأسلوب غير المقنع منذ الأزل، ولا يجرؤ أحد على السؤال: لماذا يا ترى تطبق بهذه الطريقة؟ بل إن الكثيرين وعلى الرغم من أنهم لا يعلمون سبب تطبيقها بهذه الطريقة يستميتون في الدفاع عنها، وإبقائها على حالها!!

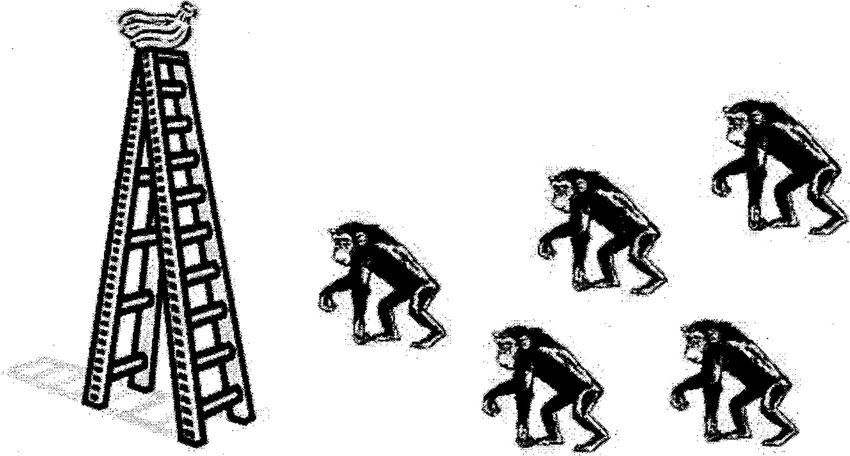
إنّ هذه القصة تعكس واقعنا اليوم، كيف أننا نتمسك ببعض العادات والتقاليد السقيمة والعقيمة، التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا، وإذا قيل لنا إن هناك ما هو خير

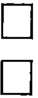
---

(1) من مقال للكاتبة الأردنية لبنى شرف على الشابكة

منها، قلنا: بل نحن وجدنا آباءنا على هذه الطريقة، وإنا على آثارهم مهتدون، ولـن نغـير ولن نبدل، بل نصر ونستميت في سبيل إبقائها والحفاظ عليها.)

أما نحن فنضيف فإنها دلالة توضح لنا الكيفية التي يصـنع بهـا العقـل المغلـق، أي كيف يقولب، ومن أين يأتي الجمود العقلاني الذي يصبح أيقونة يـدافع فيهـا المـرء عـن جهله وعدم فهمه بشراسة شديدة، ما يؤدي حتمـا للتعصـب والتشـدد والتطرف(أنظـر مثال المقلاة والسمكة أيضا)





خاتمة

كثيرا ما يظهر الخلط جليا بين الاسلام والمسلمين، وبين الاسلامي كصفة لكل المسلمين وحضارتهم وتراثهم بغض النظر عن مستوى اقترابهم من الدين ورأيهم السياسي وبين الاسلاموي، وكثيرا ما يقع الخلط بين الدين والتدين، وايضا عندما لا يتم التفريق بين الدين وبين الحكم أو السلطة أو الدولة أو الحكومة بحيث ان البعض وخاصة من ذوي العقول المغلقة لا يفتأ يردد مقولات سهلة سلسة تدخل القلب التعِب والمثقل بهمومه اليومية ولكنه المؤمن بدينه بمنطق التسليم لكل من يلبس عمامة أو يربي لحية أو يصرخ على المنبر.

في محاولة لفهم ظاهرة تمدد الفكر الاسلاموي ومنه الاسلاموي (المتحزب) المتطرف والخلط المتعمد هذا حاولنا أن نجيب عنه في الكتاب (المحاضرات) بمنطق الاسلامويين والنظر الى التطرف والتعصب ومع بعض الإضاءات على حضارتنا الثرية.

تعرضنا في مواد الكتاب لعناوين قد نجد فيها المتشابه والمتقاطع لأنها محاضرات متعددة هي خمسة عناوين في الفصل الأول كان عنوان: (الاسلامويون) في المتغيرات الإقليمية، ثم في الفصل الثاني: التيارات الإسلاموية المتطرفة و"وعاء الآلهة"، وتلاه الفصل الثالث:وعاء الوسطية والتيارات الماضوية، اما الفصل الرابع فتعرض لحدث بعينه عكس نفسه هو: "غزوة باريس المباركة" و التداعيات، وكان الخامس من الفصول في مقاومة "التطرف" في المجتمع

في الجزئية الاخيرة من كتابنا ما نحب أن نختم بها، هي النظر بين الدين والحكم حيث يستخدم الاسلامويون مفهوم الحكم أو (الخلافة) كما يستخدمون مصطلح (الشريعة) ويستخدمون (السياسة) كما يستغلون أو يستخدمون (الحدود) باعتبارها الممثل الأبرز لتطبيق الشريعة كما يدعون، وأيضا يستخدمون منطق (الجهاد) وفي كل هذه الاستخدامات وغيرها تجد انهم يقومون بمحاولات عميقة لإضفاء مفاهيم حزبية أو مفاهيم تخص جماعة معينة لتطبيع الناس وفق ما يفهمون على فرضية أن ما يقولونه

لوحدهم هو الممثل لصحيح الدين سواء كان الاستناد لمنطق نصوصـي تراثـي، أو لمنطـق عقلي يسند لمناهج تفكير قديمة هي قطعا متأثرة بمناخات تاريخية فحيـث صـح اسـتخدام منهج في زمن قد لا يصح في غيره، بل وفي غيره من الاكتشافات العلمية والعقلية ما مـن الضرورة أن ينعكس على طريقة التفكير والنظر، بالتالي على شكل القرار أو الاسـتنتاج وهذه أصبحت بديهية العصر إلا لمن توقف وانقطع وتحجر.

كان الرأي بالأمس واقع لمقتضيات الصراع مع التغريـب والشـيوعية والالحـاد، وقبله لمقتضيات الصراع مع الغزاة الفرنجة، لذا فلـيس مـن الدقـة أن نقـول أن فقهـاء أو علماء أو مفكري تلك العصور في كـثير ممـا اجتهـدوا فيـه كـانوا يخلطـون أو يتعمـدون استغلال الفتوى، وان كان لا تنزيه عن كثير منها وارتباطها بالسلطان في معظم الأزمنة.

أما اليوم فإن الخلط لدى كثير من الاسلامويين المتطرفين هو متعمد، ولأغـراض حزبية ونتيجة طبيعية لفكرهم ذو الطبيعة الحصـرية للفكـرة المقدسـة للجماعـة بفهمهـا الأوحد وبإقصاء الأخر عنها ما يعنى عدم الاعتراف والتقابل والتجاور للآخر المختلـف على عكس ما كان عليه علماء المسلمين في الأزمنة الغابرة.

إن منطق فرض فهم محدد (للشريعة) أو (للحكم) أو لطريقة معالجة الأمـر هـذا العصر يعني فرض رأي لجماعة أو طائفة أو حزب على عمـوم أفهـام المسـلمين المتعـددة بسماحة اجتهاداتهم، ويعني أسر الدولة بين يدي سلطة لا يمكن مخالفتها (فأنت بين يـدي السجن بالدنيا، والنارفي الآخرة معا) وهي سلطة يحتكرها من يحتكرون الفهـم والتفسـير والتبشير بالفكرة أو ما يسمونه أو يدعونه من (شريعة) او (خلافة) أو جهاد.

ان فكرة التعايش في ظل التعددية بالاجتهادات السياسية وفي مصالح النـاس مـا هو من فروع الشريعة والفقه فكرة مقرة لدى المجتهدين المسلمين، والمتنـورين اليـوم، لـذا يصبح احتكارها من حزب أو فئة عملية سلطوية دنيوية لمصلحة فئة فقـط، تتلفـع بغطـاء الدين وعصا السلطان فلا يستطيع أحد أن يتفوه بكلمة.

ان تحكـم الفقهـاء أو العلمـاء أو أصـحاب الفكـرة الناشـئة عـن الـدين (الفكـرة الايديولوجية) والمكبسلة داخل جماعة أو حزب طامة كبرى وتراجـع خطـير عـن منطـق

الحرية والعدالة والتسامح في الاسلام، وتقهقر الى عصور جهالة سبقت الاسلام ورغبة في فرض الرأي الانساني باسم القرآن دون حسيب أو رقيب الا ممن يشابهونهم، مع ان (ميزان) العقل يرجح ويغلّب ويقرر ويرفض في تعددية لا تسمح مطلقا بتغييب طائفة أو حزب اوفكرانية على أخرى.

إن الدولة من حيث هي جهاز مؤسسي يدير شؤون الناس وينظم المصالح ويحمي التعددية والطوائفية والقوميات ويحرس الحرية والديمقراطية عبر التعددية الفكرية والسياسية والاجتماعية، وليس لها وهكذا هو الأمر أن تفرض رأيا محددا أو اجتهادا أو تطبيقا بعينه تحت مسمى الشريعة أو غيرها، وليس لها إلا أن تقوم بواجبها الأصيل في حماية الناس وفق مقاصد الشريعة السمحاء في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وبما يحفظ الحرية وكرامة الناس جميعا، ويحقق العدالة حسب القانون.

إن أوعية الفكر متعددة ولا يستطيع أي وعاء بشري مهما ادعى من قدرة النقل عن المقدس أو عن العقل أن يحتكر الحقيقة التي يجب أن ننهض جميعا ونجتهد للوصول لها في إطار فكر الاجتهاد التعددي والاستنارة والتجدد.

والله ولي التوفيق